الإجلال والإكرام لشهدائنا الأبرار

بقلم: عبد القادر الهاني

في بداية الأسبوع الثاني من هذا الشهر تحلّ ذكرى مجيدة هي ذكرى عيد الشهداء، ذكرى 9 أفريل 1938 التي دفع الشعب التونسي الأبي ضريبة باهضة الباعث عليها وعيه الحاد بحقوقه المشروعة والتضحية –في سبيل تحقيقها– بالنفس والنفيس والتي لخصها في برلمان تونسي وحكومة وطنية.

لقد اختير تاريخ 9 أفريل من كلّ سنة ليكون يوم عيد الشهداء باعتبار أنه اليوم الذي استشهد فيه أكبر عدد من الشهداء في ذلك اليوم المشهود، وإلاّ فإنّ شهداء عديدين بذلوا أرواحهم من أجل تونس منذ زمن بعيد:

–قبل انتصاب الحماية من أجل دفع الظلم واستبعاد الضّيم.

–وإبّان انتصاب الحماية مقاومة لهجمة استعمارية غاشمة قامعة قاهرة.

–وخلال فترة الاستعمار التي دامت خمسة وسبعين عاما سمتها انتهاك الحرمات وقطع الأرزاق وانتشار المظالم ونهب الخيرات والتنكيل بكل من يرفع صوته مناديا بالحقوق والحريات. لكن الشعب التونسي قابل كل هاتيك الانتهاكات بالتصدّي فكان الشهداء والسجناء والمبعدون والمهرسلون والمهمشون والمصابون بالأمراض والعاهات.

–وخلال نصف قرن بعد الاستقلال تواصل سقوط الشهداء وتمادى بذل الروح من أجل تونس كي تنزع كلّ أثواب المهانة والمسخ وانتهاك الحقوق وسلب الحريات ومن أهم تجلياتها ثورة الحوض المنجمي وشهداؤها الأبرار وعزّزها شهيد ثورة الحرية والكرامة ورمزها "محمد البوعزيزي" يوم 17 ديسمبر لتستمر إلى يوم 14 جانفي، ثورة تواصل أوارها قرابة الشهر فأهدت لتونس عددا من الشهداء يوازي أو يفوق عدد الشهداء خلال كلّ الفترات السابقة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشهداء كلّهم شهداؤنا، كلّهم شهداء تونس الغالية، كلّهم شهداء الحرية والكرامة والعدالة، كلّهم في قلوبنا، في مهجنا، نترحّم عليهم ونحيي ذكراهم، ونحفظ عهدهم، كلّنا مدينون لهم بما تحقّق لنا من حرّية، ونحرص أن تستكمل الثورة أهدافها حتى تتحقّق لنا الكرامة المسلوبة، والعدالة المفقودة، وينعم بالعيش الرغيد كلّ التونسيين والتونسيات في كلّ الجهات وعلى جميع المستويات.

ختاما نقول، ها أنّ يوم 9 أفريل على الأبواب، فلنحتفل به جميعا –دون استثناء– في كنف المسؤولية وإخلاص النية، والعمل من أجل تونس لكلّ التونسيين، دون تهميش أو إقصاء، ونصب أعيننا أمانة دم الشهداء.

هذا وإنّه لمن واجبنا جميعا، أن يكون إحياء الذكرى هذه السنة في كنف تكريس مبدأ إجلال الشهداء، وإكبار تضحياتهم، وحبذا لو يكون إحياؤها في مكان واحد، فإن كان ولا بد من أماكن متعدّدة، فليكن المضمون واحدا، مؤداه أن الشهداء–كل الشهداء– بذلوا أرواحهم من أجل تونس حرّة مزدهرة، من أجل التونسيين والتونسيات، صغارا وكبارا، يعيشون بكرامة: محفوظي الحقوق، قائمين بما عليهم من واجبات. وأن كلّ توظيف خارج هذا السياق، هو التفاف على الثورة وخيانة لدماء الشهداء.

هذا وليكن حاضرا في أذهان الجميع أن الالتفاف على الثورة أو المساهمة فيه بطريقة أو بأخرى إنما هو عمل إجرامي سينكشف لكل العيان –لا محالة– اليوم أو غدا وسينال صاحبه الجزاء الأوفى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حضور شعر اللهجة في الثورة
ضد الاستبداد المحلي والسلطة الوافدة
انتفاضة بن غذاهم ومواجهة الحملة الفرنسية نموذجا

بقلم: د. الجليدي العويني

عرف تاريخ تونس المعاصر عددا من الهبات الشعبية ضد السلطة الحاكمة (سواء كانت محلية أو وافدة) تعبيرا عن رفض الاستبداد والتعسف والاستعمار. وقد مثلت هذه الانتفاضات خروجا عن دائرة الصراعات التقليدية التي كانت تقوم بين القبائل المتناحرة من اجل السلب والسلطة أو بين الجماعات المتنافسة على الحكم وتحولت إلى مواجهات بين حاكم مستبد ومحكوم غاضب أو بين عنصر محلي ومستعمر غازي.

وفي هذه التحركات مثل الشعر الشعبي منتجا ثقافيا معبرا عن الوجدان الشعبي العام في مساندة هذه الانتفاضات والتأريخ لها بأمكنتها وأزمنتها ورموزها. وقد كان حضور هذا الجنس الأدبي كرافد للرفض والثورة على السلطان المستبد متزامنا مع أول الانتفاضات الشعبية في تاريخنا المعاصر وهي انتفاضة القبائل المصطلح عليها باسم ثورة علي بن غذاهم التي كانت أكبر هبة شعبية مواجهة للاستبداد والتعسف دون هدف اخذ السلطة (عند انطلاقها على الأقل)، وهو ما يميزها عن هزات كثيرة سابقة لها تكون عادة صراع بين أطراف أو عائلات لافتكاك الحكم. (الفتنة الباشية مثلا) فثورة علي بن غذاهم جاءت كرد على إجراء اقتصادي تعسفي (مضاعفة قيمة المجبي من 36 ريالا إلى اثنين وسبعين ريالا) وهو قرار مثل قطرة عملاقة أفاضت كأس احتقان متأت من شعور بالغبن والضيم تراكمه سلطة مستبدة سياسيا وفاسدة ماليا منذ عقود طويلة.

خممت في لقوال
بايت انكندر خاطري معلول
هالباي حكمه مال
فعله يشيّب راضع البـــزول
باع وطن للعمـال
يتعاندو كان من يجي مغلول

ودراسة ما ظفرنا به من نصوص تلك المرحلة يمثل على قلته سندا يؤكد تعبير الشاعر عن أسباب الانتفاضة والأحلام التي حملتها والانكسارات التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عقبتها وفي كل ذلك لا يفعل القائل غير نقل حالات الجماعة المعاصرة للانتفاضة.

عملت دراسات تاريخية عديدة على إبراز مظاهر الفساد والاستبداد التي اعترت الايالة التونسية في أواسط القرن التاسع عشر وقدمت رموزا لهذه المرحلة (الصادق باي، مصطفى خزندار، شمامة، بن عياد...) وهي رموز قيادية في السلطة المركزية كان لها إتباعها في الجهات من أعيان وقياد وعناصر أخرى يلامسها الناس عن قرب ويكتوون بنار عسفها. وكانت القصيدة الشعبية، الأداة الفنية الأبرز التي تصف ذلك الطغيان ذاكرة رموزه وحاملة في الآن نفسه أحاسيس السخط والتبرم المنتشرة في مختلف الجهات.

فأحد شعراء الوطن القبلي يذكر فساد عامل منطقته (المنزلي)

يا منزلي خوذ الفلـــوس بزايـــد
في الصبح قاضي وفي العشية قايد
لم وعبّي
لا فايدة يخلف علينـــا ربـــي
نفذ القضاء ما عاد شي مخبيّ
البر عاطش والنصيحة مكايـــد

ومن قصر قفصة وفي نفس الفترة يقول عبد الله القصري ذاكرا عاملين في بيت واحد:

بن عون خلّى حتال زروق جاهد فيه بالمفعول

تعكس هذه النصوص حالة احتقان شعبي وغضبا لم يعد مكتوما نتيجة ما راكمته السلطة الحاكمة من عسف ونهب حتى صارت كل (محلّة) عنوان قسوة وسلب وكل قادم من الباي إلى أحد الجهات الداخلية هو بالضرورة رسول ظلم لذلك وجدت ثورة 1864 هوى عند الناس وحملت آمالا ترجمتها القصيدة الشعبية .

يقول شاعر من منطقة عين الرحمة التابعة حاليا لمعتمدية النفيضة يدعى عبد الله بن سلوقة:

الله ينصرك يا علي بن غذاهـــم
الناس مرضوا وما لقوش دواهـــم
وقت الغصـــــــــــــرة
يا بن غذاهم كون لينا نصـــرة
إلي عامل موزقة فـــي قصـــره
تونس مريضة ناسها عراهـــــم
النـــــاس قتلهـــــم
ثقّل عليهم حمل فوق حملهـــم
يا رب خلص مالنكد وحلهـــم
واهلك أصحاب الشر فك بلاهم
شمـــــــتوا فـــــــينا
البي، خزنـــدار جـــاروا علينـا
قوت الذراري خذوه من عينينا
النفس هانت والصيودة نفاهـــم

أبيات من نص مطول يوضح الاستجابة الشعبية لهذا التحرك الاجتماعي المنطلق من اختلال واضح بين شعب فقير مريض ومعدم.

الناس مرضوا وما لقوش دواهم

وسلطة سياسية منصرفة إلى لهوها وترفها

البي عامل موزقه في قصره

بما تنهبه من رعية لا تملك الضروريات الحياتية (تونس مريضة ناسها عراهم)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن هذه الرعية المعدومة والتي لم يعنيها ولم يشملها دستور 1861 لا بركات هذا النص الذي وضعته النخبة لم تلغ الاستبداد المتأصل في السلطة (**النفس هانت والصيوده نفاهم**) وجدت نفسها أمام فرصة للتعبير عن غضبها وحقدها عمن استبدوا لها فاستبشرت بالانتفاضة المتفجرة وقامت تناصرها وتدعو لها بل تعتبرها بلغت شوطا في انجاز الحلم بالفوز.

الله ينصر بن غذاهم **** جماعة الباطل فيّاهم**

وبرغم هذا الزخم والأمل والاحتفاء الشعري بانتفاضة 1864 فان ما عثرنا عليه لا يذهب إلى تفاصيل المعارك وقد يستطيع الباحثون إفادتنا في هذا المنحى لأن هذه الانتفاضة حملت أملا جماعيا بالخلاص ووقائعها لا يمكن أن تمر بعيدا عن الغناية والقوالة ولكن الاعتماد على الرواية الشفوية قد يكون وراء ضياع ما قيل كما يمكن أن يكون لحملات العقاب التي تلت الانتفاضة دور في اختجاب نصوص الاحتفال بالانتصارات. غير أن البحث المعمق في ذاكرة بعض المناطق (الوسط الغربي مثلا) قد يأتينا بما يخلد انتصارات بن غذاهم ومن معه من مقاتلين نرى حقهم مغموطا إلى اليوم.

إن غياب القصائد التي تصف معارك الانتصارات في أماكن انطلاق الثورة وأماكن امتدادها (من الوسط الغربي إلى الساحل) يقابله حضور لنصوص ما بعدها أي تلك التي عقبت انفراط عقد الثائرين وبداية حملات التنكيل والانتقام التي قامت بها كتائب جند الباي. ولأن اشد تلك الحملات كانت حملة احمد زروق التي اجتاحت قرى الساحل التونسي فان قصائد وأغان كثيرة بقيت من تلك المناطق مسجلة وجائع ووقائع الفترة ففي نص يقول مطلعه:

الرجالة راحت لفريقا احمد زروق يشيّح ريقه

نجد ذكرا للاماكن والأسماء المعاقبة وهو ما يفيد بمشاركتها في الانتفاضة مثل ولد عطية أصيل بنبلة.

يا ولد عطية * القلعة دخلوها في عشية***
ذاقت لبلّية * عسكر ومدافع بحريـة***

أو المناري من المنارة بين جمال والنستير:

قلبي يا ناري ** وينك يا سيدي لعذاري***
قتلوا لمناري * والمدفع طيحلي داري***

كما تصور القصيدة شدة الانتقام وشراسة الأسلحة المستعملة ضد شعب أعزل أو يكاد:

ذاقت لبلّية ** عسكر ومدافع بحريـة***
يعطيهم كيه ** هزوا الناس تقول سريقه***

(لاقينا بلاء عظيما من جنود مدججين بالمدافع يختطفون الناس خفية)

أو:

الأمّة في حاله *** المقرون عيونه مـــدباله***
عساكر قتالـــه *** ما ينجى كان إلي بماله***
الساحل بكماله *** تشعل فيه النار حريقه***

وقد تعامل الناس مع القوّة الغاشمة بطرق مختلفة، فمنهم من فرّ:

الرجّاله راحت لفريقا ومنهم من رشا:

ما ينجى كان اللّي بماله

وأما البقية فقد لقوا عقابا جماعيا

موتى وعنايـــا *** نبكي والدمعة جرّايه***
ناري في حشايا *** قهرونا ذراري وصبايا***

إن الشاعر الشعبي حمّال لنبض شعبه ينخرط بمهجته وقوافيه في الحلم والتواق وفي الوجع الجماعي وهو ما يجعل نصه مكتوبا بلسان الجماعة متأثرا بمواجسها ومشاعرها مما ينأى به عما تتطلبه الموضوعية التاريخية من حياد ودقة رغم قربه من موقع الحدث. ولكن هذا النص وأشباهه يبرزون الحضور اللافت للنص الشعري العامي وربما سابقيته عن غيره من النصوص الإبداعية في مواكبة حدث محلي عظيم بأحلامه وآلامه وذكر أعلامه سيما وأن هذا الحدث هو الأبرز في انتفاضة التونسيين ضد عسف سلطتهم، اعتبارا لتواصله في الزمن ولعدد المشاركين فيه ولنوعية الوسائل المعتمدة حيث يفوق بقية الهبات التي قام بها شعبنا في التاريخ المعاصر سواء ضد البايات أو في فترة الحكم البورقيبي. ورغم هذا الرصيد تظل ثورة بن غذاهم أفقر شعريا من الثورة الكبرى ضد المحتل الفرنسي التي واكبها ديوان ثري.

فجر الدخول الاستعماري إلى البلاد التونسية موجة غضب شعبية عبر عنها شعراء اللهجة مما أتاح لهم فرصة اقتحام مجاهل شعرية لم يعتادوها والتطرق لأغراض جديدة حتمتها معايشة وقائع الصراع مع الأجنبي الكافر (غرض الملطم) وتخلخل منظومة ثقافية واجتماعية تقليدية أمام زحف أخرى جديدة مختلفة (غرض العكس) وتبلور مفهوم الانتماء الوطني مع ظهور حركات ونخب اشتغلت على هذا المفهوم وأعطته حضورا بارزا تجاوبت معه القصيدة العامية (غرض الوطنيات)

فمع قدوم أول الكتائب الفرنسية للتراب التونسي كان الشاعر الشعبي حاضرا معبرا عن وجدان عام منددا بالسلطة السياسية الخائنة ممثلة بالباي:

الباي باع الوطن بيع الشـــوم

وباعـــث عـــــلينا يلـوم

قال افرحوا بمحال ولد الروم

ومعاتبا للباب العالي الغائب عن نصرة ارض السلام

يا تركيا بنـــاولـــك سؤال

سوال النبي نحب حوس ودوس

تونس رسنها واثقة الدلال

ولا فازعـــه بعسكر ولا بفلوس

ومتغنيا بالفرسان الصامدين والمستشهدين في عديد المعارك التي عرفتها مختلف جهات البلاد

اللي ما راش وحضر في يوم الخطره

ما عنده باش واش يحدث في عمره

وجاءت كل هذه المواقف لتقدم رصيدا هائلا من القصائد الاحتجاجية والقتالية أسست لأغراض جديدة او اثرت أغراضا قائمة مثل بدة الملطم والعكس وشكوى الزمان والوطنيات

هذا الغرض لموجود تاريخا والسير من خلال وصف تبارز الفرسان وتقاتلهم في ساحات الوغى (السيرة الهلالية، سيرة عنترة...) اخذ بعدا جديدا بقدوم العسكر الفرنسي حيث صارت المعارك حقيقية يعايشها وربما يعيشها القائل وتغيرت أدوات القتال وأسلحته من سيوف ورماح إلى بنادق ومدافع وتغير خاصة العدو المقابل فلم يعد منافسا عربيا مسلما من قبيلة مجاورة أو غازية بل أصبح غريبا كافرا ينوي الاستيطان. وقد شهد هذا الضرب من القول الشعري نتيجة ذلك طفرة في الكم بتعدد الوقائع، واتساعا في المعاني والصور وثراء في المعجمية تبعا لقدرات القائلين ولمحاتهم ولزخم مشاعرهم المرتبط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمدى اقترابهم المكاني والزمني من مشاعرهم المرتبط بمدى اقترابهم المكاني والزماني من المعارك التي شملت كثيرا من جهات البلاد:

كم من صنديد فيده باله مرجية
وجبل خمير نادى جل الرجاله
حلفوا اليمين ما يطيعوش البغضية
الكلب الخوان جانا فازع بامحاله
قاصد زغوان دخلها في ضيق عشية
بات في الخنقات يعس يخدم بالدالة
قاللهم جات قوم العربان سريّة
في مقرن جوه اولاد الفتنة الرجاله
كم من صنديد عباره فالمعركة ميّة
فيهم طرشون لنقر سيد الرجاله
جلاصي معروف ولد عماره من زيّه
راكب عالكوت يغلي من كثرة جهاله
بخمسة مقارين يحدر للروم علية
يمينة ويسار ينحر فيهم بالباله

وفي نص أخر

قاموا صناديد من ورغمة لأرض دريد
حشدت تحشيد من الرجال والفرسان
طبوا البارود نهار حامي داير دخان

إن الطفرة الكبرى لهذا الغرض كانت في المرحلة الأولى للدخول الاستعماري وتراجعت بعد استتباب الأمر للسلطة الجديدة وانتهاء الوقائع العسكرية مع بداية سنة 1883 ولكن الشعراء والقائلين والغنّاية ظلوا على توترهم شأنهم شأن شعبهم ينتظرون كل انتفاضة أو هبة للعودة إلى ملطمهم والاحتفاء بأي بارقة رفض ومن هنا كانت القصائد المحلدة لانتفاضات أخرى عديدة بتمجيد أو رثاء رموزها وإبطالها ففي نص مرتبط بمعركة الجلبانيّة (ولاية قابس) يوم 12 أفريل 1920 يقول الشاعر على الورثة الحمروني:

جوا خمسة يقصوا في الجرة
وملك الموت يراجي
ولحقوا مولى العركة الممرة
المشهور الدغباجي
فزعوا فوق خمسة فوق حصنة
من مخزن مطماطة
وقالوا هاهي الجرة منا
وجوا فاول شواطة
الدغباجي قاعد يستنى
طاحلهم وتواطى
واللي ينوشه يا ويل امه
فاح قطار شياطه
يجي مرمي مصبوغ بدمه
سم منحس لاطه
مولاه كبير اصل وهمة
وعنده الكيف مقاجي

وفي رثاء البشير بن سديرة احد ابرز مقاتلي معارك جبال عرباطة وسيدي عيش يقول شاعر:

نوحي يا زين التخليلة
على خوك العاتي قتلوه
فيه تشفّوا كلاب الغابة
ولا خلّى رجال يفيدوه
مات وما خلاش رجال
اللي عليه يزوزوا لغلال

بشير هق زهو الـــبال
عـز مشيله جوا لحقوه
صيد خنقه موش ذلال
دارت لتيام وعكـــسوه

(ابكي أيتها الجميلة لموت أخيك البشير الشجاع الذي لم يخف أبناء يطلبون ثاره من أولئك الذين التحقوا به ونفذوا غدرهم)

ولم يقتصر ملطم تلك الفترة على انتفاضات ومعارك المناطق الداخلة بل شمل أيضا مناسبات التمرد والرفض في المدن وتعد واقعة الجلاز ابرز هبة حضرية ضد الأجنبي وهي التي قامت بعد مرور ثلاثين عاما عن انتصاب الحماية لتؤكد تواصل نبض المقاومة، وكانت القصيدة الشعبية حاضرة لتعبر عن هذا النبض ولتقف بجانب المنتفضين ناقلة إحساسهم مسجلة انجازاتهم.

في عام ثلاثين هجـري بالـعدّان
صارت خـطرة هايلة والشيء سـبب
واقعة الجلاز ليها حـظ وشـان
في الوقت المناسب بعد نشوب الحرب
بدا الجمهور يصيح باعوها الخيان
على تـحيير قـبورنا الدنيا تتقلب
فينا راجل صاح اللي يهرب جبان
الموت مـع الآجال بالأمـر من الرب
نادى بالجهاد يا لله يا شجـعان
ترمـينا مع بعضنا واشتد الكـرب
فينا اللي بحجر يغشمهم غشـمان
وفـينا اللي بعـصا شور العسكر شب
والعسكر بسلاح يصهد بالنيـران
وحـنا كان صدورنا عرضـة للحـب

ولم تقتصر قصيدة الملطم على تسجيل الهبات المحلية بل تجاوزت إطارها القطري لتواكب ثورة الأشقاء الليبيين ضد الغزو الايطالي عاكسة بذلك وجدانا يحمل مشاعر ارتباط عميق بالفضاء القومي والديني والرفض لكل مخترق لهذا الفضاء

ضرب عرسك مابغاش يـدوم
قاعد لليوم المدفع في الجبال ينزوم
طويل عرسـك طلبه زنـان
تو ليك زمـان امالـيك حـزان
بعـد ان خـلاك السلطان
لين جـوك اولادك شجعان
مشهورين فـلان فـلان
يعـدوا هـدان
من غـدامس حتى الصيعـان
لـرت وفـزان
عـلى الرومي خاين لمـان

إن قصيدة الملطم فسحة يتماهى فيها الشاعر مع المنتفضين وسلاح يشارك به في هبة شعبه وتعبيرة عن إحساس جماعي مناصر للمقاتلين وأداة لتحريض المترددين والتنويه بالمقبلين على ساحات المواجهة. وقد تبارى الشعراء في صياغتها لتخلد مواقع كثيرة وتتحدث عن إبطال أكثر بنبض متحمس منحاز غايته الفخر والمساندة أكثر من توخي الدقة في تقديم المعلومة التي لم تكن الهاجس الأساسي للشاعر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هَذِهِ الدُّنْيَا كِتَابٌ

رحلة في عوالم علي سعيد بوزمّيطة الإبداعيّة

بقلم: جلال المخ

"أخي القارئ،

هذه خلجات تحدّث عنها كثيرون وعاشها كثيرون وكتب عنها أكثر من واحد في عالم ضاقت سجلاّت التّاريخ على أن تسع أخطاءه وخطاياه في كافّة أرجاء المعمورة الّتي عمّها الضّيم وتفشّى فيها الفساد واستُعْبِدَ فيها الإنسان من الإنسان وأصبح الحكم فيها للأكاسرة والفراعنة والقياصرة.

تجارب وملاحظات وخواطر بعد معايشة ومعاناة أضمّنها مجموعتي الشّعريّة الأولى لأضعها بين يديك راجيا منك الرّأي بعد الدّرس والتّحليل نورا أستنير به وهديا أهتدي به إلى الصّواب في عالم يلفّه الضّباب ويغشاه السّراب."

مضى على هذا البيان الكتابيّ الشّعريّ أكثر من ثلاثة عقود عندما جعله علي سعيد بوزمّيطة افتتاحيّة لمغامرة كتابة ونشر، الدّافع إليها المشاكل والأزمات والعلل الّتي أثقلت كاهل العالم وعشّشت بين ثنايا الوجود وأمَلُهَا الإصلاح والتّقويم وذلك من خلال العملية الفنّية الإبداعية الّتي تتّخذ تشكّلات وتمثّلات شتّى يدفعها يقين من الكاتب خفيٌّ أحيانا وصريح أحيانا أخرى بإمكانية هذا الإصلاح والسّموّ بالدّنيا عن الدّنايا الّتي تنحدر إلى قيعانها بوسائل الابتكار والإبداع والخلق وما إلى ذلك من المصطلحات والمجالات الّتي يمكن أن تنضوي تحت كلمة "الفنّ"...

وقد انخرط علي سعيد في هذا المُعْتَقَدِ الفنّي بكلّ مشاعره ومداركه وملكاته وليس أدلّ على ذلك من أنّه سخّر له كامل حياته الّتي كانت بحقّ مِخْبَرا تجريبيّا لعدد هائل من الفنون والأنشطة الفنّية والثّقافية ممّا جعله ينفق العمر منذ نعومة أظفاره إلى ما بعد سنّ التّقاعد في الكتابة والبحث والتّأليف والابتكار دون هوادة ولا ملل ويجرّبُ مجالات فنّية متعدّدة رأى الحياة من خلالها وجعل الانهماك فيها مرادفا للعيش وشرطا أساسيّا تقوم عليه حياة الإنسان وإلاّ فإنّها تفقد كلّ معانيها وتتجرّد من الأهداف الّتي لها جُعلت ومن أجلها خُلِقَتْ.

والاستعراض السّريع لأطوار حياته المفْعمة بالنّشاط وبالعمل الدّؤوب يبيّن لنا مدى ثراء شخصيّته وتنوّع مشاربه الفكرية والفنّية والكتابيّة...

وُلِدَ الأديب الشّاعر علي سعيد بوزمّيطة في منتصف القرن العشرين سنة 1951 ببلدة "حمادي القبلي" بمعتمدية جرجيس بالجنوب الشّرقي للبلاد التّونسية وزاول تعلّمه الابتدائي والثّانوي والتّرشيح بجرجيس وجربة ومدرستي ترشيح المعلّمين بقابس ثمّ بتونس العاصمة. وتحصّل على شهادة ختم الدّروس

الثّانوية التّرشيحية وابتدأ يشتغل بالتّدريس منذ سنة 1974 وتدرّج في المهنة والتّرقيات إلى أن أصبح معلّم تطبيق أوّل. إلاّ أنّ هذه المسيرة المهنية النّاجحة لم تمنعه من مزيد الدّرس والتّحصيل فتابع دروسا تكوينية في تربية تأهيل المعوقين سمعيّا بفرنسا سنة 1979 شُفِعَتْ بالحصول على شهادة في ذلك الاختصاص وتجربة التّدريس في ذلك المجال الإنساني الخطير، فعمل مدرّسا لفاقدي السّمع لمدّة خمس سنوات وتطوّع للتّدريس ضمن برنامج تعليم الكبار لمدّة سنتين.

ولأنّ هذا الرّجل يحمل بين جنبيه روحا مبدعة وغزيرة العطاء وتوّاقة إلى النّشاط الكثيف، فإنّه إلى جانب هذه الحياة المهنية متعدّدة الوجوه الّتي كان يمكن أن يكتفيه فخرا القيام بها على أكمل وجه طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أبى إلاّ أن يمارس أنشطة فنّية وثقافية موازية تعطي لوجوده معاني أعمق وتسطّر له أهدافا أكبر وغايات أوسع. ومن بين تلك الأنشطة الكثيرة نشاط صحفي هامّ فقد كتب ونشر محاولاته الأدبية أو كتاباته النّقدية والاجتماعية والبيداغوجية في معظم الصّحف الصّادرة بالبلاد التّونسية مثل "الصّباح- العمل- البطل- النّهار- الصّدى- الصّحافة- الأنوار- الإعلان- الشّروق- البيان- الأيّام- الحرّية- الأخبار- حقائق- اندماج- الأخلاّء- قدماء الصّادقية- فلسطين الثّورة".. وعمل في الكثير من هذه الإصدارات مراسلا صحفيّا قبل أن يُخَصَّصَ له ركن قارّ بجريدة "الأيّام" لمدّة سنتين نشر فيه سلسلة أسبوعيّة بعنوان " إطلالة". ولعلّ أحسن تتويج لهذه التّجربة الصّحفية الطّويلة الّتي تمتزج بالتّنشيط الثّقافي في مختلف التّظاهرات والمهرجانات كتاب أصدره بالاشتراك سنة 1990 حول مهرجان بوڤرنين أيّام كان مهرجانا دوليّا ذائع الصّيت وشديد الأهمّية، بمناسبة مرور عشر سنوات على انبعاثه عنوانه: "ليالي بلكرنزيس، أحلى السّهرات في بوڤرنين الذّكريات".

وليس بوڤرنين المهرجان الوحيد الّذي ساهم فيه علي سعيد بوزمّيطة بل إنّه انتمى إلى عشرات المهرجانات ونشّط عشرات التّظاهرات والملتقيات وانخرط في عشرات الجمعيات الأدبية والثّقافية والتّربوية والاجتماعية إيمانا منه بنجاعة العمل الجمعياتي واقتناعا منه بدور الجمعيات في تكريس مفهوم المجتمع المدني وبدور المثقّف والمبدع في تسيير تلك الجمعيات وتنشيطها. ومن بين القائمة الطّويلة جدّا من الجمعيات الّتي نشط ضمنها ونشّط في أحيان كثيرة وقائعها وفعاليّتها نذكر اتّحاد الكتّاب التّونسيّين والكشّافة التّونسية والاتّحاد الرّياضي بيرج السّدرية (مؤسّس وكاتب عام وأمين مال) وجمعية علي بن عيّاد للمسرح بحمّام الأنف (كاتب عام) وجمعيتي السّينمائيين الهوّاة بقابس وبحمّام الأنف وجمعية رعاية فاقدي السّمع والاتّحاد العام التّونسي للشّغل إلى غير ذلك من عشرات الجمعيّات والمنظّمات دليلا على انخراطه الكلّي في العمل من أجل الغير وإيمانه بضرورة قيام المثقّف بدور اجتماعي تأطيريّ وتوعويّ بالإضافة إلى دوره الإبداعيّ والثّقافيّ...

وقد كانت له بالإضافة إلى العمل الصّحفي والتّنشيط الثّقافي تجربة مسرحيّة لا بأس بها أهمّ محطّاتها انتماؤه إلى جمعية "كوكب الواحة" للمسرح بقابس وعمله ضِمْنَها ممثّلا من سنة 1970 إلى سنة

1974 وكذلك تأسيسه لجمعية المسرح الطّلائعي ببرج السّدرية وتولّيه رئاستها ولجمعية مسرح الرّيحان بحمّام الشّطّ وتتويجه لهذه التّجربة المسرحية بتولّيه الكتابة العامّة لجمعية علي بن عيّاد للمسرح بحمّام الأنف. ولم يقتصر دوره أثناء تلك التّجربة على الاضطلاع بالمسؤوليّات وتقمّص بعض الأدوار في بعض المسرحيّات بل استغلّ موهبته وتجربته الكتابيّتين ليكتب عدّة نصوص قصيرة وسكاتشات لتلك الفرق...

وتنطوي هذه الشّخصيّة الثّرية على مواهب فنّية أخرى فعلي سعيد خطّاط أيضا ورسّام مولع بالعوالم التّشكيلية وقد نظّم عدّة معارض للرّسم والخطّ العربي قدّم فيها أعماله الفنّية للمتفرّجين منها معارض بجرجيس وقابس ورادس وحمّام الأنف وتونس وشارك في معرض الصّالون التّونسي للفنون التّشكيلية سنة 1975. ولطالما استغلّ مواهبه هذه في كتبه الشّعرية ودواوينه فهو يكتب قصائده دائما بخطّ أنيق على ورق يحمل نفس المقاسات وقد نشر أحد دواوينه بنصوص شعرية مكتوبة بخطّ يده وازدان ديوان آخر منها بإحدى لوحاته الزّيتيّة. إلاّ أنّ التّجربة الكتابية هي الّتي تمثّل القسم الأهمّ من منجزه الإبداعيّ وهي الّتي تمثّل الجانب الأكبر من شخصيّته الفنّية وتشغل حيّزا ضخما بالمقارنة مع غيرها من التّجارب إذْ أنّها لازمته طيلة عقود وانطلقت منذ صباه ولم تزدها الحقبات الزّمنية المتعاقبة إلاّ تواصلا ورسوخا في حياته وفي أعماق ذهنه، بل إنّ المواهب الأخرى قد تتظافر وتتآزر في أحيان كثيرة لتخدم هذه التّجربة الكتابية وتزيدها تنوّعا وطرافة.

وهذه التّجربة تنقسم بدورها إلى أنواع تتصنّف داخلها وتختلف باختلاف المواضيع المطروقة وبتغيّر الغايات المنشودة من وراء إنجازها. ومن أهمّها تجربة نقديّة تتمثّل في قراءات أو مقاربات لعديد من الأعمال الأدبيّة والفكرية لها سمات وخصائص تتّصف بها وتُسْبِغُ عليها جانبا من التّفرّد. ومن ذلك أنّها تهتمّ جميعها بأعمال كتابيّة تونسيّة وبتآليف معاصرة أصحابها لهم علاقة زمالة أو صداقة بالمؤلّف. وهي بهذا مأخوذة من محيطه الأدبي ومنتقاة من الأوساط الثّقافية الّتي يرتادها ويلتقي فيها بأصحاب تلك الأعمال. ومن بين هذه القراءات النّقدية الكثيرة نذكر:

- أحزان الواحة أو واحة الأحزان: قراءة في مجموعة أحمد الفهري القصصيّة "الوظيفة الثّانية لليد".
- حساب السّنين حصاد السّنين: قراءة في ديوان الهادي نعمان "حساب السّنين".
- عمر سبيكة في مجموعته "عناق" يحتفي بالعراء في مدن الضّياء.
- "آخر زهرة ثلج" لمحمّد البقلوطي والرّحلة المضنية.
- "نشيد الجمر والنّوء" لتوفيق بن هلال والرّحيل الدّائم في ملكوت الحرف.
- الجرح ينزف ورداً، مقدّمة لكتاب الشّاعر الفلسطيني روحي رباح "الجذور".
- قراءة في مجموعة "براعم الشّوق" للشّاعر عبد السّتّار العبروقي.
- دع الباب مفتوحا... باب الذّاكرة، قراءة في المجموعة القصصيّة لسلوى الرّاشدي "باب الذّاكرة".
- ثلاثيّة الوطن والطّفولة والبحر في "سنفونيّة العشق الأخير" لمحمّد الصّالح الغريسي.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

– "جراح تشرين" لخطوبة بن نصيب، جراحات الوطن والرّوح والقلب.

– "سنابل" أو ألبوم السّيرة الذّاتية لمبروك صالح المنّاعي.

– الوجه والطّفولة والبحر في قصص محمّد جُوعُو.

أمّا عن المنهج الّذي يستخدمه المؤلّف في هذه المقاربات وغيرها من القراءات فهو مزيج من قراءة انطباعية تأثّريّة تفرزها مواقف في ذهنه وعواطف ومشاعر حرّكتها فيه تلك النّصوص المتناولة ومن مناهج حديثة في النّقد بعضها اجتماعي وبعضها الآخر نفسيّ وحسب طبيعة العمل المطْرَقِ يستند إلى بعض آلياتها يستضيء بها ويثري بها تناوله للوصول إلى بعض النّتائج الطّريفة. ويميّزها بالخصوص ارتكازها على بعض الوسائل المعتمدة في المقاربات الهيكلية عندما يعتمد على طريقة إحصائيّة بما عُرِفَ تنتقي بعض المفردات أو الألفاظ المفاتيح وتحصي عدد استعمالها في النّصّ لتسطّر أهمّيّة ما تحمله من مضامين وما ترمز إليه من أبعاد وما تسعى إلى تحقيقه من أهداف إبداعيّة. والمصير الحتمي الّذي تتمنّاه لهذه القراءات الّتي امتدّت على عقدين أو أكثر من الزّمن والّتي تابعت ووثّقت لجانب من الحركة الثّقافية في تونس في الفترة الأخيرة هو صدورها في كتاب مطبوع يحفظها نهائيّا من التّلف أو الضّياع و النّسيان ويجعلها تساهم نهائيّا في تسجيل بعض الجوانب الهامّة من تاريخ الكتابة الأدبيّة خصوصا والثّقافيّة عموما...

أمّا أهمّ محطّة في تجربته الكتابيّة فهي الكتابة الشّعرية الّتي تمثّل أكبر اهتمام في حياته الفنّيّة والّتي انطلقت منذ سنيّ مراهقته لكنّ خروجها على القرّاء في شكل مجموعات وكتب مطبوعة كان في بداية الثّمانينات من القرن الماضي وبالضّبط سنة 1982 من خلال إصداره مجموعته الشّعرية الأولى بعنوان "عمليّة الضّرب والقسمة" وعدد قصائد هذا الدّيوان ثلاثة وعشرون قصيدا امتدّ نظمها على مدى عشريّة كاملة ابتدأت عام 1973 إلى غاية 1982.

والسّمة الغالبة عليها هي الحزن والأسى المسيطران على أجوائها لكنّه ليس حزنا رومنطيقيّا أو شجى غراميّا بل هو تألّم ينزف جراحات وعذابات بسبب وضع الوطن العربي المتردّي الغارق في ظلمات الاستغلال والاستبداد والتّخلّف. وإن عبّر نصفُ هذه النّصوص عن الحزن الشّديد بسبب تلك الظّروف البائسة فإنّ نصفها الآخر نصوصٌ متمرّدة وثائرة على تلك الأوضاع ترفض الذّلّ والخضوع وتعمل على الظّلم والاستبداد وترفض القهر والاستغلال وتحلم بمستقبل مغاير. وتدور هذه المضامين الثّورية حول القضيّة العربية والإنسانية الأمّ المتمثّلة في القضيّة الفلسطينيّة وفي وجوب التّصدّي والكفاح ضدّ الاستعمار الإسرائيلي أو الاستيطان الصّهيوني الضّارب عرض الحائط بكلّ المفاهيم الإنسانيّة والقيم البشريّة والمعاهدات الدّوليّة.

وعناوين تلك النّصوص تكفي لتجسيد هذه الأفكار وفيها من الدّلالاتِ ما يؤكّدها ويدعّمها، ومن ذلك: أيّتها المدائن الحزينة، من حقائب المغتربين، كتابة على أسوار لبنان، مغرب كبير، قلبي بندقيّة، الحروف الشّظايا، نشيد الفدائي إلخ...

ومن خلال هذا الهاجس السّياسي المتسربل بالأبعاد الثّوريّة والنّضالية أراد الشّاعر أن تكون هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النّصوص قصائد ملتزمة بما يعتقد أنّها القضايا العادلة، وأراد أن تكون هذه النّصوص كذلك هادفة كلماتُها أسلحةً نضاليّة ثائرة لا تقلّ نضالا عن الكفاح المسلّح بل تسير إلى جنبه تدعّمه وتُذْكي نيرانه المحرّرة، ومن ذلك:

" قلمي بندقيّة

ودِمَا قلبي شظايا البندقيّة

لأخلّدها القضيّة

لأحرّرها السّبيّة

فلِسطيني وارضي الأبيّة

نعم احرّرها

وثورتي من هنا افجّرها" ...

وبهذا تنخرط تلك النّصوص في مسار شعريّ وكفاحي طغى على السّاحات الثّقافية في البلدان العربيّة آنذاك وتماشى مع الكثير من مضامين حركة الطّليعة بتونس ومواضيع الشّعر السّياسي الموجّه ضدّ عديد الأنظمة الدّكتاتوريّة والّذي من أهمّه الشّعر الفلسطيني الّذي أقضّ مضاجع النّظام الصّهيوني في أكثر من مناسبة. وما يُلاحَظُ هو أنّ التزام هذه النّصوص ليس اجتماعيّا يتناول مآسي الطّبقات الفقيرة ضحيّة الاستغلال البرجوازي وحلفائه بقدر ما هو إنسانيّ شموليّ يلتصق بالقضايا الإنسانيّة الكبرى ويركّز على الظّلم الجماعي وسحق الأنظمة المتعسّفة للشّعوب بأكملها وللإنسان بصفة عامّة...

وتمرّ أربعة وعشرون عاما بالتّمام والكمال لنرى الشّاعر يُصدر مجموعته الثّانية سنة 2006 بعنوان: "تجلّيات: سفر للرّوح في ملكوت الوجد". وقد احتوى هذا الدّيوان على عدد كبير من النّصوص يفوق الخمسين قصيدا ومن أوّل وهلة ونحن نطالع الكتاب نجد أنفسنا في عوالم شعريّة أخرى لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بقصائد المجموعة السّابقة. وغابت مواضيع الالتزام السّياسي والشّعر الكفاحي والنّضال المسلّح والنّضال بالكلمة الهادفة لتَحُلّ محلّها عوالمُ صوفيّة غائمة يذوب الشّاعر في فضاءاتها إثر وجد وشوق وبعد رياضة روحيّة ودربة شاقّة على تطهير النّفس من أدرانها المادّية والمعنويّة وسباحةٌ في فضاءات سرمديّة وتجَلٍّ وذوبانٌ في الملكوت الكونيّ وفي الذّات السّرمديّة العليّة. إنّها تجربة شعريّة شديدة الطّرافة يخوضها الشّاعر بكلّ ما في معاني التّجربة من عمق واتّساع ويسخّر لها كلّ الوسائل اللّغويّة والشّعرية والفنّية المحيطة بالمجال الصّوفي والمستقاة من طُرُقِهِ وأقطابه ومشائخه وأعلامه فتبنى بتطوّر كبير في ذهن الشّاعر و بتغيّرات جذريّة طرأت على طريقة تفكيره وعلى فلسفته في الحياة ونظرته للوجود ومعالجته للأحداث والطّوارئ. وهذا الكمّ الهائل من النّصوص يُجسّد هذه التّجربة الجديدة من خلال عشرات القصائد الّتي تتحاورُ وتتآنس كما لو كانت في حضرة صوفيّة أو في حلقة ذكر أو في تخميرة روحيّة تحاول الانفلات من وطأة المكان والزّمان وتحلّق متجلّية ومتخلّصة من سجن الجسد الخبيث لتنشد التّجلّي والذّوبان في عوالم علويّة وفي ذاتٍ عُلْيَا بعد أن تتطهّر نهائيّا من كلّ ما يمكن أن يعوقها عن بلوغ تلك المراتب السّنيّة بعد أن تولد من جديد وتنصهر في المدى اللاّمتناهي. ومن ذلك مثلا:

"لحظة للرّوح في حضن تجلّى

هي عمر ورحيل في المدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتجلّى الرّوحُ للرّوحِ وترحل
تسبقُ الشّوقَ احتراقا
في مسافات اشتهاءٍ، ومواعيد التقاءْ" (توق لإشراق المواعيد)

أو:

"كم تطول الرّحلة والبعد يُضْني
وحنان الرّوح يزداد اضطراما
أيُّ فصل من فصول الوجد يُهْدي
لهوى الرّوح انتشارا وانصهارا
في مواعيد التجلّي...
تنتشي الرّوح وتشدو بمواويل إنشراحْ
تركب نور الصّباح
وتُسَافِرْ" (عذابات التّحلّي)

وقد أثارت قصائد هذه التّجربة الطّريفة عدّة ردود فعل كتابيّة ونقديّة نستعرض بعضها:

يقول الأستاذ محمّد المالكي: "هذه الكلمات القريبة إلى الشّاعر بل القريبة إلى قيس نور أضاء ظلمة في النّفس فسما بها زمنا ضوئيّا لتصنع لنفسها عالما آخر مليئا بالأمل والحبّ الجارف ضمن لغة رقيقة رقّة النّفس الظّامئة للّقاء، المتطلّعة للفناء في الآخر..."

ويقول الأستاذ عبد الدّائم السّلاّمي: "كتابته أقرب ما تكون إلى فائض من وحي يفتح أبواب الذّات ويدعوها إلى وليمة حلم رقيق... وكلّ نصّ من نصوصه الشّعرية يمثّل دعوة حادّة للحياة... وحديثا عن الذّات وإليها نسمعه حينا ونراه أحيانا أخرى صورا تمشي على إسفلت عوالمنا كدبيب التّعاس..."

وتقول الأستاذة سلوى الرّاشدي في دراسة لها عن المجموعة: "تجلّيات.. لعلّها تجلّيات لروح شاعرة تفيض أحاسيس شفّافة تتوق إلى لقاء لا يدرك... تتغذّى بنار الذّكرى وتذكّيها وتتعهّدها بالتّرديد وحين تخشى إرهاقها تتزوّد بالأمل فيغدو اللّقاء ممكنا... ولعلّ أهمّ مصادر الإلهام عند الشّاعر هو هذا الامتناع المولّد للمعاناة،وقدرة الشّاعر تكمن في قدرته على تحويل هذه القتامة والوجع إلى شحن عذب يرتقي بنا إلى مناطق شفّافة في إحساسنا فنشعر بالاستمتاع..."

ويقول الأستاذ عمر سبيكة: "لعلّ هذه المجموعة الشّعرية تحاول أن تؤسّس عالما يغمره الحبّ والوجد، تسافر بعيدا عن مدن الحرب، مدن الانفجارات، بعيدا عن مدن الخوف والموت تبشّر بالحلم وتبشّر بالأمل...وواضح أنّ الشّاعر تحرّر من قيود الجهد ليسافر في فسحة البوح في الرّوح، ليسرّح الكلمات في ساحة الوجد والعشق ويتجلّى عن عذاباته واغترابه في زمن المادّة..."

ونقول إنّ ديوان " تجلّيات" يمثّل نقلة نوعيّة في شعر علي سعيد وتغيّرا جذريّا وحاسما في تصوّره للشّعر شكلا ومحتوى وهو يدلّ على تطوّر في تفكيره وتقديره للأمور قطع مع أشكال في الكتابة كان اعتنقها ثمّ تجاوزها نهائيّا. وبعد أن حمل على الظّلم والطّغيان والاستغلال وهاجم ممثّليها وانتصر لضحاياها أصبح يعتقد أنّه لا يمكن القضاء على الاستبداد ما لم يتطهّر الإنسان من أدران الأنانيّة العالقة به، وبات يرى أنّ الثّورة على التّعسّف والاستبداد تبدأ بالثّورة على أصفاد الذّات وقيود الأنانيّة والمنفعيّة والانتهازيّة، ولو طهّر البشر ذواتهم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتمّوا بمشاعرهم ومداركهم لما تناحروا وأكل بعضهم بعضا. إنّ تجلّيات الشّاعر وإن بدت أسفارا في عوالم الملكوت العليّ ورحلاتٍ في المدى اللاّمتناهي فإنّها تنطوي على ثورة كبرى على المفاهيم الّتي كان الشّاعر يؤمن بها وعلى تغيّرٍ كبير وعميق في فلسفته في الحياة ونظرته للوجود. وما يدلّ على أثر هذه التّجربة في كتابته الشّعرية هو أنّه يبشّرنا بتجلّيات 2 وهي مجموعة أخرى من هذه النّصوص تنتظر النّشر وتبرز مدى تعلّقه بهذه التّقنية الكتابية الجديدة...

وتحلّ سنة 2010 لتشهد صدور ثالث كتاب شعري لعلي سعيد وهو آخر أعماله المطبوعة إلى حدّ السّاعة. وعنوان هذه المجموعة: "للطّفل نغنّي" وتحتوي على واحد وثلاثين نصّا يعرّفها من خلال الغلاف بأنّها مجموعة قصائد وأغانٍ في أكوان لامتناهية من الشّوق والتّحلّي وكتابة شعريّة للأطفال تحتفي بعوالمهم وتتغنّى بمشاغلهم وتحتوي على كثير من المواضيع التّربوية والحياتية المرتبطة بهم.

والحقّ أنّ علاقة الشّاعر بالطّفل وبالطّفولة متينة جدّا ويعتبر من أكبر المختصّين فيها والمهتمّين بها لما فيها من صعوبة ولما تتطلّبه من شروط ومعارف تتعلّق بسيكولوجيا الطّفل وبسبل تنشئته وإعداده الإعداد السّليم ليكون رجل الغد، والّتي غالبا ما يَضْرِبُ بها عرض الحائط كلّ من هبّ ودبّ ممّن سوّلت لهم أقلامهم الكتابة للأطفال واستسهلوا تلك العمليّة رغم أهمّيتها وخطورتها. وفي ذلك يقول الأستاذ صالح الطّرابلسي في دراسة عن هذه المجموعة: "لعلّه قد أدرك ما يعتري أنشودة الطّفل من ضُعف في اللّغة مبنى ومعنى وطغيانٍ للغة دارجة هجينة مُبْتَذلة خصوصا في المؤسّسات التّربوية ما قبل الدّراسة (رياض الأطفال) وفي الجمعيّات الّتي لا تمتّ إلى التّربية بصلة أو فيما طلعت عليه تلفزتنا من برامج تجعل الطّفل نَجْمًا من غُبار، حالاً تذروه الرّياح أو زبدا سرعان ما يذهب جُفَاءً، ممّا قد يُؤثّر سلبا على حياته وشخصيّته وتربيته وسلوكه..."

وشاعرنا، زيادة على كونه مربّيا مارس بيداغوجيا الطّفل وتعامل مع الأطفال طيلة ما يزيد عن ثلاثة عقود، فقد كتب كمّا وافرا من النّصوص للأطفال. ومن أعماله غير المنشورة والمكتوبة لهم مجموعات: "براءة الطّفولة- ومن أجل عيون الطّفولة وسيّدي – وأغان للأطفال – فسيفساء – البلابل – البحيرة – الصّنوبر – علّيسة إلخ..." وسجّلت له مؤسّسة الإذاعة والتّلفزة التّونسيّة عدّة أغان للأطفال منها: "على العهد – أنا ابن المغرب – معلّمي – الفلاّح – أطفال الدّنيا – صبح الأمل – السّلام – هات يدك...إلخ. واختيرت كذلك بعض قصائده الملحّنة للتّدريس في إطار برنامج التّربية الموسيقيّة للسّنة الخامسة من التّعليم الأساسي. وقد أنجز كذلك دراسة كاملة عنوانها: "القصيد الموجّه للّطفل" دلالة على خبرته بهذا الموضوع وتمرّسه بمختلف مجالاته وملابساته.

وهذا الإلمام بمتطلّبات الطّفل وبانتظاراته جعل مواضيع قصائده في هذه المجموعة متنوّعة

وهادفة تدور حول المحبّة بصفة عامّة تلك الّتي يجب أن تغرس في نفوس الأطفال حتّى ينشؤوا على علاقة إيجابيّة بمُحَاة محيطهم البشري والطّبيعي، ومن ذلك حبّ الأمّ وحنانُها والتّعلّق بالأرض وحبّ الوطن وطلبُ العلم والمعرفة والسّعيُ إلى قيم التّسامح والسّلم واحترامُ الطّبيعة والمحيط. وهذه الأهداف تربويّة بالأساس وإنسانيّة عموما، وهي إجابة أخرى عن ظلم البشر واستعبادهم لبعضهم البعض وتناحرهم واقتتالهم وحمقهم وحيروتهم فإذا ما نشأ الطّفل على قيم الحبّ والتّسامح تسامى نفسه في سنّ الرّشد وما بعدها عن البغي والاستغلال. وهي طريقة أخرى لتخليص النّفس البشريّة من أدرانها الأنانيّة والمنفعيّة تُوازي إلى حدّ ما الطّريقة الصّوفيّة الّتي تسعى لتخليص الرّوح من أدرانها المادّية وتنشد النّقاوة والصّفاء وعالم وجد عَلِيّ. وبتناوله موضوع الطّفولة يحقّق الشّاعر هدفا مُزْدَوَجا فهو يغرس قيم الخير في نفوس الأطفال الّتي مازالت على نقاوتها وهو بدوره يعود طفلا يستحضر ذكرياته البعيدة وينفلت من عالم المادّة والتّنافس إلى عالم البراءة والعفويّة. ويتأكّد هذا من خلال اعترافه أنّه هو الطّفل في نهاية الأمر في نصّ أهداه إلى الطّفل الّذي يسكنه وإلى كلّ طفل. يقول:

انا الطّفل يا ابني اراك بقلبي
تتوجّج في ذاتي احلام وجدي
فانت انا
يا ابتسام الصّباح
واشراق فجر بغطّي البطاح
وهمس السّواقي يُرَوّي الورود

ويسقي الأقاحَ (أنا الطّفل)

لقد جاءت إصدارات الشّاعر المطبوعة لتجسّد ثلاث محطّات هامّة في تجربته الشّعرية أو ثلاث مراحل قطعتها تلك التّجربة الإبداعية الممتدّة في الزّمن على أغلب فترات عمره أولاها شعر الكفاح والالتزام والسّياسي وثانيتها قصائد الصّوفية والذّوبان في العوالم الرّوحيّة وثالثتهما شعر الطّفولة والاحتفاء بالعوالم الطّفولية البريئة. وكان من الطّبيعي تَبَعًا لذلك أن تتغيّر آلياتُ الكتابة وتقنياتها وأساليبها ولغتها لتُجسّم في الشّكل ما تغيّر في المضمون. والملاحظة العامّة في هذا الصّدد هي أنّ الشّاعر كلاسيكيُّ الأسلوب في كتابة القصيد يكتب الشّعر العموديّ والحرّ أو شعر التّفعيلة ويُديرُ ظهره للقصائد النّثريّة أو الشّعر النّثري الّذي طغا في العقود الأخيرة على السّاحة الشّعرية العربية وفي مجموعته الأولى جاءت القصائد متمسّكةً بالبحور الخليلية أو استخدمت بعض تفعيلات تلك البحور تستمدّ منها إيقاعها وتركّب منها موسيقاها. وهي موسيقى خارجية تسلّط على القصيد من الخارج تركب عليه دون أن تنبع من داخله، فكانت الأوزان قياساتٍ موسيقيّةً محدّدةً أُخْضِعَتْ لها النّصوص وركّبت على مختلف تَفْعِيلاتِهَا. ويلاحظ تمسّك بالقافية أو تشبّث بالرّويّ مبالغ فيه أحيانا وتسخّر كلّ الجمل الشّعرية من أجل الالتزام به والخضوع لنوعيّته. أمّا اللّغة المستخدمة فكانت على جانب من الجزالة في بعض الأحيان

فيها بعض القعقعة والدّويّ لتحدث أثرا إيقاعيّا كبيرا في النّفس وهي لغة تنتمي إلى سجلّ قصائد الرّفض والثّورة وتذكّرنا كثير من استعمالاتها بشعر القضية الفلسطينية إذ تكاثرت المفردات المرتبطة بتلك القضية وبمعاناة الشّعب الفلسطيني بالخصوص. وكان الأسلوب في أحيان كثيرة مباشرا فيه نبرة خطابية واضحة ودعوة صريحة للفعل والتّغيير. وهذا بالطّبع غيرُ محبّذٍ شعريّا ويشفع له اندفاع الشّاعر المستميت نحو الحرّية وإيمانه بتلك القضيّة العادلة وتدفّق دماء الشّباب في عروقه تستنهض الهمم وتدعو إلى النّهوض، ويشفع له كذلك اندفاع البدايات الكتابية الّتي يطغى فيها هاجس المعنى على متطلّبات الشّكل والمقتضيات الجمالية والفنّية المحيطة به. ويتغيّر الأمر تماما في المجموعة الثّانية الّتي ظهرت بعد رُبع قرن من الزّمن تغيّرت فيها مفاهيم الشّاعر المضمونية وكذلك الشّكلية والفنّية. وأبرز تغيير يطالعنا به الشّاعر هو أنّ النّصوص رغم التزام أوزانها بالتّفعيلة العروضيّة قد كتبت بشكل نثري مسترسل يوحي بأنّها فقرات نثريّة لكنّ الأمر لا يعدو إلاّ أن يكون توزيعا بصريّا مخاتلا يفاجئ العين ما دام لم يفاجئ الأذن. وهذه المراوغة محاولة على كلّ حال لتكسير شكل القصيد المكتوب في الأصل عموديّا بكتابته أفقيّا ونحو ذلك الشّكل السّائد رغم التزامه بالقواعد العروضيّة. وتقوم تسعون بالمائة من هذه النّصوص على تفعيلة "فاعلاتن" الرّملية بينما يقوم عشرها المتبقّي على تفعيلة فعولن " المتقاربيّة" ممّا يفقد هذه النّصوص التّنوّع الإيقاعيّ والتّغيّر الموسيقي ليجعلها تنخرط في نمط نغمي متواتر فيه روتينية متكرّرة ومسترسلة لعلّه قصدها لتكون مثل أنغام الأذكار الصّوفيّة الّتي تستغرق السّاعات الطّويلة حتّى يغرق الذّاكرون في شيء من الانذهال والانغماس في عوالم روحيّة قد يَعُوقها تغيير الأوزان المفاجئ وتكسير ذلك الرّوتين المذهل أو لتكون مثل شطحات الدّراويش الّذين يدورون على أنفسهم ساعات طويلة في حالة انذهال حتّى يصبح ذلك النّغم المتكرّر سندا لهم ومتّكأ لدورانهم المتواصل حتّى لا يسقطوا أو تنطرح نشوتهم الدّاخلية أرضا... وزيادة على هذه الموسيقات يلاحظ في هذه النّصوص اشتغال على الصّور الشّعريّة واحتفاءٌ بها يزيد النّصّ إغراءً وإغواءً جماليّين ويخرج بالقارئ من العالم الواقعيّ إلى عوالم وهمٍ مُتَخَيَّلَةٍ ومُسْتَعْذَبَةٍ.

أمّا السّجلّ اللّغويّ فهو صوفيّ بحت وقد استنفد الشّاعر معظم مفرداته وألفاظه واستعملها بطرق مختلفة قد تتشابه ظاهريّا ولأوّل وهلة لكنّها تعطي دائما تأثيرات مغايرة. وقد وفّق الشّاعر إلى حدّ بعيد في البلوغ باللّغة مستوى كبيرا من الرّقّة والشّفافيّة والصّفاء تعكس صفاء العالم النّقيّ الّذي رنا إليه وتزيد الملكوت الصّوفيّ الّذي بشّر به صفاء وجماليّة تنبع من النّقاء الممتزج بالضّياء.

أمّا قصائد الطّفولة فلها خصوصيّاتها الفنّية لدى الشّاعر ولعلّه وجد في هذه العوالم العفويّة

والرّحبة آفاقا أسلوبيّة أرحب فتصرّف بحرّية وتلقائيّة أكبر ومن ذلك تنوّع البحور الشّعرية الخليلية في هذه القصائد من رمل ومتقارب ورجز وهزج وقد فضّل استعمال البحور ذات التّفعيلة الواحدة على غيرها من الأوزان المركّبة حتّى تكون موسيقاها سلسة وتنفذ إلى وجدان الأطفال بسهولة خاصّة وأنّ كثيرا من قصائده تلحّن فيما بعد وتغنّى فأصبحت تبعا لذلك تستعدّ أسلوبيّا وعروضيّا لتلك التّلاحين وتتهيّأ نغميّا وإيقاعيّا حتّى تحتويها الموسيقى بكلّ يسر وسهولة. ومزج في بعض النّصوص بين بحور مختلفة وتفعيلات متباينة قصد الحصول على مؤثّرات إيقاعيّة مُستَحْدَثَة...

وفي هذا الاتّجاه تجنّب طول الأبيات الشّعرية واستعمل البحور مجزوءة أو مشطورة أو منهوكة أحيانا. وهذا الهدف هو الّذي حدّد كذلك انتقاء الألفاظ والمفردات الّتي جاءت بسيطة يسيرة الفهم بعيدة عن حزالة المفردات التّوراية وعن الرّموز الكثيفة الّتي تحملها مصطلحات الصّوفيّين، وصبغت في تراكيب واضحة وفي جُمَلٍ بسيطة. ولئن تدخّلت مواهب علي سعيد الأخرى في كثير من كتاباته ولئن تدخّل الرّسّام في تشكيل الخطاب الغلافي في المجموعة الثّانية من خلال إحدى لوحاته الزّيتيّة فإنّ الرّسّام يتدخّل في هذا النّمط من النّصوص بطريقة أخرى ويولّد الصّور البديعة ويرسم بالكلمات مستعملا عناصر الطّبيعة بالخصوص وما تشتمل عليه من مكوّنات لونيّة وصوتيّة تخاطب الحواسّ مباشرة وتحدث فيها التّأثيرات الجمالية المرجوّة...

إلاّ أنّ هذه المجاميع الثّلاثة ليست كلّ ما كتب علي سعيد فزيادة على الكتب السّتّة غير المنشورة الّتي أتينا على ذكرها، له في انتظار النّشر كذلك مجموعة أغان بالعاميّة ومجموعة قصصيّة وعدّة مجموعات شعريّة أخرى مثل: "أشواق" و"أنا والمدينة" و"كلّ البلاد مدينتي" و"أحبّتي لكم أتجلّى"...

إثنا عشر كتابا لم يستطع الشّاعر نشرها أو لعلّه عزف مُكْرَهًا على عدم نشرها. ولا نريد أن نتطرّق هنا إلى موضوع النّشر وإلى الحالة المزرية الّتي أمست تحيط بهذا الموضوع ولا نريد أن نتعرّض إلى الأساليب والطّرق والاستنباطات الّتي اخترعها كثير من النّاشرين ليستهدفوا أموال الكاتب القليلة أو المقترضة بعد أن استنفذوا جهوده الذّهنيّة والفكريّة والكتابيّة...

ومجموعة "أحبّتي لكم أتجلّى" أسْبَابُ كتابتها طريفة جدّا ومبتكرة من قبل الشّاعر الّذي يبحث دوما عن أفكار جديدة وغير مطروقة ويسعى إلى تحقيقها بكلّ تأنٍّ وتأنّق. وفكرة الدّيوان هي أنّه جمع كلّ الإهداءات الّتي حملتها الكتب والأعمال المهداة إليه من قبل مؤلّفيها وردّ على تلك الكلمات أو المجاملات أحيانا بمقطوعات من الشّعر أو بقصائد قصيرة يستلهمها من ذلك الإهداء ومن غيره من العتبات المؤدّية إلى النّصّ. وهو بهذا يردّ التّحيّة بأحسن منها مقتديا بالآية القرآنيّة الّتي صدّر بها عمله: " وإذا حُيِّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها" (سورة النّساء، الآية 96). وبهذه الطّريقة يردّ

كذلك على ظاهرة سلبيّة جدّا أمست متفشّية لدى بعض المثقّفين والكتّاب تدلّ على خلل كبير في عقولهم ومرض خطير في نفوسهم وتتمثّل في أنّهم يبيعون الكتب المهداة إليهم وعصارة جهود زملائهم في محنة الأدب بأثمان بخسة ومقابل بعض الملاليم الّتي لا تسمن ولا تغني من جوع. وإن بقي للبعض منهم نزر يسير من الحياء يجعلهم يمزّقون الورقة الّتي تحمل الإهداء والتّوقيع أو يشطبون ما جاء فيها وخاصّة أسماءهم فإنّ البعض يذهب بهم الصّلف والوقاحة إلى عدم التّورّع عن إتلاف أسمائهم أو ما أسْدِيَ إليهم من جميل التّحيّة. وكم تكون صدمة الشّاعر أو الأديب مرعبةً عندما يكتشف أحد كتبه المُهْداة ملقى على أرصفة نهج الدّبّاغين في سوق الكتب القديمة ويمسك به مرتعشا ليفتحه ويكتشف اسم الأديب أو المثقّف المهْدَى إليه والّذي كان يظنّه أخا حميما في الأدب والتّأدّب.

وبهذا العمل يعطي علي سعيد مثلا صادقا على وفائه للصّداقة وعلى حبّه للأدباء والمبدعين وعلى احترامه لجهودهم وتكبّدهم مشاقّ التّأليف فيُهْدِيهم قطعا من قلبه ومقطوعات من وجدانه ويجعل إهداءاتهم أسبابا مُلْهِمَةً للكتابة الشّعريّة ويجعل أسماءهم عناوين قصائد ويجعل كتبهم مرايا لقرائحه ومواهبه وأفكاره.

وتحتوي هذه المجموعة على خمسين نصّا لثلاثين مبدعا ثلثهم من النّساء وأكثر من ثلثيه من الشّعراء وأربعة منهم فارقوا الحياة وهم: محمّد البقلوطي الشّاعر الرّقيق وروحي رباح الشّاعر الفلسطيني صديق المؤلّف وخلّه مدّة عقدين من الزّمن والشّاعر توفيق هلال الّذي رحل في ربيع العمر والقاصّة الأديبة فاطمة سليم إحدى رائدات الكتابة القصصيّة في تونس.

ومن بين هذه المقطوعات بعض ما قاله الشّاعر في كاتب هذه السّطور:

لئلاّ يكون هواك الكبير سوى ما حلمت به
وطارت به في المدى رغبات
وحتّى براعم وجدك تنمو
وتجثو لحضرتها النّظرات
تجمّع كُمّاما...
تشكّل فصولا
تكون مواسم ترسو المراكب فيها
مُحمّلةً بضياء
وإشراقةِ لخطايا السّؤال...

وعن هذه الإبداعات الّتي أوحت بها الصّداقة وألهمتها العلاقة الكتابيّة وجسّدها السّفْرُ في ذات الأخر يقول الأستاذ فتحي جُوعُو: "إنّها معانٍ تتراقص وتختمر تبحث عن تجسيد للحروف يُبْنَى.. ليجد تخليدا على بساط أبيض يكون مرتعا لقلوب الأحبّة...".

وخاتمة القول إنّ هذه الدّنيا كتاب متعدّد الورقات متنوّع الصّفحات متقلّب الفقرات، وكتاب حياة علي سعيد بوزنيطة كتاب معظم ورقاته شعر وأدب وفنّ وابتكار ومعظم صفحاته بَذْلٌ وعمل وعطاء ومعظم فقراته محبّة وصداقة ووفاء ولو أردنا أن نُعْطِي لهذا الكتاب عنوانا لفرض عنوانٌ نفسه ولانْتَقَشَ في أعلى كامل الصّفحات وهذا العنوان لا يمكن أن يكون سوى: " الحياة إبداع أو لا تكون..."

الإعلام الثقافي والانتقال الديمقراطي

بقلم: منصف الكريمي

شهدت تونس بعد الثورة جدلا كبيرا حول الإعلام والثقافة في تونس الجديدة من منطلق رفع تحدّ جديد يجسّم مطلبا شعبيا نحو إعلام مختلف وبلا وصاية ومستقلّ عن أي ضغوطات أو إملاءات أو إغراءات أو تهديدات ويكون" إعلاما مهنيا حرفيا "يسعى إلى خدمة الشعب والإلتصاق بهموم ومشاغل المثقفين والمبدعين كما عرفت تونس بعد الثورة ثورة كمية في المشهد الإعلامي من حيث تعدد العناوين والقنوات ومن حيث ثراء المقاربات وزوايا النقل والطرح والنقد الإعلامي والتصوير التلفزي والرقمي ومن هنا بات السؤال حارقا حول مدى مواجهة هياكل الإعلام الثقافي لذاتها ما بعد الثورة في ظلّ واقع جديد يقوم على انتقال ديمقراطي صاحب ومليء بالتحديات من أجل أن تتبوأ هذه الهياكل مكانتها التي هي جديرة بها في ظلّ هذا الحراك المجتمعي السريع وشديد التعقيد لنتساءل في هذا الإطار: كيف ستكون العلاقة بين هياكلنا الإعلامية والواقع الثقافي الجديد لتونس ما بعد الثورة؟ وسنقدّم جملة من المعطيات في هذا الإطار وفق منهجية تقوم على تقديم مقاربة بين الإعلام الثقافي قبل الثورة وبعدها وعلى تحديد خصوصيات الإعلام الثقافي الذي يتطلبه الانتقال الديمقراطي مع تقديم جملة من الاقتراحات حول الإعلام الثقافي المنشود بما يخدم أهداف الثورة وسنستأنس في مداخلتنا هذه بتجربتي الإعلام الثقافي لكل من المندوبية الجهوية للثقافة بجندوبة ودار الثقافة وادي مليز كنموذج.

مقاربة بين الإعلام الثقافي قبل الثورة وبعدها:

بالعودة إلى تاريخ الإعلام الثقافي قبل الثورة نلاحظ تعدّد النشريات الخاصة بالمعلومة الثقافية والتي تصدرها الهياكل ذات الصلة وفي هذا الإطار أذكر نشرية "الأسبوع الثقافي" وهي نشرية إعلامية أسبوعية تصدرها اللجنة الثقافية الجهوية بجندوبة حيث صدر العدد الأول في سنتها الأولى بتاريخ 1973/3/7 كما أصدر مركز الاتصال الثقافي الراجع بالإشراف لوزارة الثقافة والمحافظة على التراث نشرية شهرية بعنوان"الشهر الثقافي" وهي نشريات صدرت قبل الثورة ثمّ انقطعت وتضمّ بين دفتيها أجندات ورزنامات شهرية للنشاط الثقافي بمختلف المؤسسات الثقافية الوطنية وخاصة دور الثقافة والمراكز الثقافية ذات الاختصاص الفني(المسرح الوطني/بيت الشعر...) ومن جهتها عملت المؤسسات الإعلامية وخاصة المسموعة والمرئية على تأمين لقاءات حوارية يشارك فيها خاصة مديري المهرجانات الصيفية وتكون مناسبة لهم لإبراز أهداف هذه المهرجانات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودورها وآفاقها وطموحاتها غير أنه على تعدّد مصادر المعلومة الثقافية لاحظنا أن الإعلام الثقافي قبل الثورة كان مقيّدا بمناشير توصي بإعلام مصالح الإعلام والعلاقات العامة بديوان وزير الثقافة مسبقا بأي تدخّل إعلامي بتعلة السعي لمزيد إحكام التعامل مع وسائل الإعلام المكتوبة والسمعية البصرية بما يضمن حسب هذه المناشير الوزارية "تغطية أجدى وأشمل للأنشطة الثقافية ويبرز الإنجازات والمكاسب التي تحققها بلادنا في مختلف قطاعات الثقافة والمحافظة على التراث" كما لم يخرج الإعلام الثقافي عن المألوف آنذاك في وسائل الإعلام من تلميع صورة النظام الحاكم حيث سعى الإعلام الثقافي لإعطاء صورة مغلوطة عن مدى رعاية وعناية النظام السابق بالثقافة والمبدعين عبر التصريح بأرقام مغلوطة وغير صادقة على غرار الإعلان المناسباتي خلال مختلف الحملات الانتخابية الرئاسية والتجمعية عن الترفيع التدريجي في ميزانية وزارة الثقافة لتبلغ 1.5 ٪. والحال أنها كانت أقل بكثير من هذا المعطى الإعلامي المغلوط كما قدّمت البرامج التنموية تقديما ثقافيا موظّفا حيث أضفت على المساحات التنشيطية التنموية بوسائل الإعلام السمعية البصرية صبغة فنية ثقافية بل كانت البرامج الحوارية الثقافية مناسبة لتأكيد مغالطة الرأي العام حول عناية النظام البائد بالثقافة واعتبارها "سند للتنمية" بل كانت في رؤية النظام آنذاك "سند لتغيير السابع من نوفمبر الانقلابي" أما الإعلام الورقي فانتهج أسلوبا نمطيا في الكتابة ألفناه في كل المقالات الصحفية الثقافية التي تنطلق بالأسلوب التالي"في إطار البرنامج الرئاسي الثقافي الواعد...بدعم وإشراف من المندوبية الجهوية للثقافة.... نظّمت دار الثقافة... وشهد النشاط حضورا مكثفا... وتضمن برنامج هذه التظاهرة .....و...و...ومن هنا حقق النشاط أهدافه المنشودة والمتمثّلة في..." وهو أسلوب وصفي موظّف وانطباعي ذاتي في نقل الحدث دون الاستناد إلى خصوصيات المهنية الصحفية الحرفية ودون قراءة نقدية موضوعية استشرافية لهذا الحدث الثقافي بل فيه صورة مثلى وفضلى عن النظام والقائمين عليه.

بعد الثورة حرصت المندوبيات الجهوية للثقافة على مراجعة و إعادة قراءة واقع علاقتها بالإعلام الثقافي الجهوي في ظلّ تزايد عدد المراسلين وتنوّعهم بتنوّع المصادر الإعلامية وتعدّدها حيث ضبطت المندوبيات بعد الثورة دليلا واضحا لشبكة إعلاميي الجهة وعقدت جلسات عمل ضمّت كل هؤلاء والتحاور معهم حول سبل إيصال المعلومة الثقافية والتواصل بين الإدارة الثقافية والإعلامي بل بادرت بعض المندوبيات على غرار المندوبية الجهوية للثقافة بجندوبة ببعث خلية صلب المندوبية خاصة بتنسيق وربط الصلة مع الإعلام الثقافي الجهوي ووضع خطة عمل إستراتيجية مشتركة لتطوير هذا النوع من الإعلام ذي الصلة بالفعل الثقافي بل إن النية تتجه في جندوبة لبعث جمعية جهوية للإعلام الثقافي ولأن الإعلام الثقافي يعدّ ذاكرة مرجعية لمختلف الأجيال الحاضرة والقادمة والمتعاقبة أصدرت المندوبية الجهوية للثقافة بجندوبة مكتوبا لكافة الهياكل الثقافية بالجهة للمساهمة في تعزيز مكانة الإعلام الثقافي الجهوي كما أولت المندوبيات الجهوية للثقافة بعد الثورة اهتماما بالإعلام الثقافي من خلال تنظيم ندوات للبحث في اشكالياته ورهاناته بما يخدم أهداف الانتقال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الديمقراطي على غرار تنظيم المندوبية الجهوية للثقافة بالكاف لـ"الملتقى الإعلامي بالكاف" تحت شعار"الإعلام:حرية ومسؤولية" وذلك يومي 7 و2012/4/8 وهي ندوات تبحث عن واقع الإعلام الثقافي في تونس وآفاقه وعن الضغوطات والرهانات الخاصة بهذا المجال للإجابة عن سؤال حارق"أي إعلام ثقافي نريد في ظلّ الانتقال الديمقراطي"؟

ومن جهتها ساهمت وزارة الثقافة في دعم الوسائل الخاصة بالإعلام الثقافي من خلال بعثها لـ"بوّابة وزارة الثقافة" وهي موقع إلكتروني يهدف لتقريب الخدمة المعلوماتية للإعلامي لتزويده بالمادة الثقافية وبأنشطة المؤسسات والهياكل التابعة للوزارة ومن شأن هذه البوّابة أن تضمن حضور الثقافة التونسية وإشعاعها في الفضاء الاتصالي المعولم ولأن الوسيط الإعلامي يسعى لتأمين أرشفة تاريخية للفعل الثقافي بالجهات بادرت المندوبية الجهوية للثقافة بجندوبة خلال الفترة الصيفية وبالتنسيق مع إدارات وهيئات المهرجانات الصيفية بعد الثورة لإصدار مجلة جهوية للمهرجانات الصيفية تهدف إلى جمع أرشيف المهرجانات المنتظمة بالجهة والمحافظة عليها ومزيد التعريف بها وبتاريخها وإنجازاتها وتكريما للهيئات التي تعاقبت على إدارتها بما يعطي صورة إعلامية لامعة لهذه المهرجانات كما حرصت الوزارة من خلال تركيزها لمكتب للإعلام والاتصال بديوان الوزير على متابعة صدى الأنشطة الثقافية في الوسط الإعلامي وهو مكتب مسؤول عن نشر كلّ الأخبار التي تهمّ النشاط الثقافي وتوزيعها على وسائل الإعلام.

كما نسجّل بكل ارتياح – إثر الثورة- مبادرة الفنان شكري البحري صاحب المؤسسة الإعلامية الإلكترونية"راديو المسرح" في إصدار نشرية ثقافية شهرية وطنية عنوانها"الأجندة الثقافية" وهي عبارة عن "ملحق شهري لهذه المؤسسة ومتخصص في رصد الفعاليات والأنشطة الثقافية والأدبية والعروض الفنية والمهرجانات التي تقام في كامل البلاد التونسية وتوزّع آلاف النسخ منها مجانا(20 ألف نسخة)"ونبارك بالمناسبة تعدّد المشهد الإعلامي الثقافي هذه الأيام ببعث مجلة"النجم الثقافية" التي تصدر من قفصة ونهنئ بالمناسبة صديقنا الشاعر أحمد العباسي بهذا المولود الجديد الذي نرجو له النجاح والتوفيق والتميّز.

كل هذا الزخم الكمّي في وسائل الإعلام ساهم في التعريف بالمشهد الثقافي ولكن بصفة كميّة أساسا وليست نوعية من ذلك مثلا أنه بعد الثورة وخلال السنة الماضية 2012 صدر ما يقارب الـ50 مقالا عن النشاط الثقافي لدار الثقافة وادي مليز أي بمعدل 4 مقالات شهريا ومقال كل أسبوعي وبالمناسبة أتقدّم بالشكر لكل الصحف والجرائد الورقية التي ساهمت في التعريف بالنشاط الثقافي بوادي مليز وهي جرائد "الشروق" "الأنوار التونسية" "الأولى" "30 دقيقة" "الصريح" "الشعب" "الصباح" "عين" "الصحافة" "Le Temps" ومجلة"الإتحاف" التي تصدر من ولاية سليانة وهي مقالات نقلت الحدث الثقافي نقلا على الطريقة التقليدية دون قراءة نقدية لهذه البرامج ومدى أهميتها على مستوى الدورة الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي قراءة نقدية في جدواها.

ورغم هذا التنوّع في مصادر الخبر الإعلامي الثقافي للأسف مازال الإعلام الثقافي اليوم وبعد الثورة يخلط بين ما هو سياسي أو ذاتي وبين ما هو مهني يلتصق بهموم العاملين في القطاع فمثلا البرنامج

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الثقافي"بلا مجاملة" بقناة حنبعل التلفزية ورغم خصوصيته الثقافية فإنه إنحاد بعد الثورة عن مجال اختصاصه ونبشه في الملفات الثقافية نحو نقد الواقع السياسي اليوم وبالتالي خرج منشطوه من رؤاهم الموضوعية لتستبغ رؤيتهم للمشهد الثقافي والسياسي اليوم بصبغة ذاتية صرفة ولّدت الملل لدى المتلقي وبالتالي أعتقد أن نسبة مشاهدة هذا البرنامج انخفضت عمّا كانت عليه قبل الثورة وهي حقيقة ثابتة ولكنها تدعو للتساؤل أين نحن اليوم من إعلام ثقافي يحقّق أهداف الثورة ويكون إعلاما أقرب لمشاغل المواطن وتطلعاته في المجال الثقافي خاصة وأن البعض من الأطراف السياسية مازالت إلى اليوم تسعى للتدخّل في الشأن الإعلامي وفق أجنداتها

خصوصيات الإعلام الثقافي المأمول في ظلّ الانتقال الديمقراطي:

لقد أهدت الثورة للصحفيين حرية التعبير وحرية الرأي وأصبح اليوم من أهم واجبات الصحفي إزاء ذاته وإزاء المجتمع المحافظة على هذه المكتسبات وتدعيمها ومن هنا بات عليه العمل بحرفية في نقل الخبر الثقافي بمصداقية ونزاهة وأصبح العمل الصحفي بعد الثورة أمانة مقدسة تجاه الوطن وشهداء الحرية خصوصا وأن الإعلام اليوم قادر على كشف الحقائق الخفية وقادر على الإبحار في جوهر الأشياء رغم المضايقات والعنف الجسدي والأدبي والملاحقات القضائية قصد تحويل وجهة الصحفيين نحو الأقواه المكممة لنؤكّد أن الواجب يتطلب من الإعلامي التحلي بروح الحرية وقيم العدالة دون إملاءات حزبية أو عقائدية.

ومن هذا المنطلق المطلوب اليوم هو ضرورة إيجاد إستراتيجية تتماهى مع الواقع الإعلامي الجديد لما بعد الثورة بكل إيجابيات هذا الواقع من حرية وخلق وإبداع وانفتاح وتأصيل كيان ونحت وجود واستشراف مستقبل إعلامي متنوّع حرّ ومسؤول والقطع مع حالات الماضي من وصاية وتوجيه ولا طمأنينة كما أنه من الضروري على الإعلامي اليوم العمل بحرفية ومسؤولية في نقل الخبر الثقافي بجودة إعلامية عالية دون رقابة أو مراقبة لنؤكّد في هذا المجال أن الانتقال الديمقراطي يتطلّب إعلاما ثقافيا مهنيا مرتبطا بالحيادية والإنصاف والنزاهة في نقل الحدث الثقافي وقراءته وتحليله وأنه بات من المؤكّد اليوم أن نضال أهل القطاع يجب أن ينصب الآن على حماية المهنة من كل التجاذبات السياسية والتي مصدرها أساسا إمّا الأغلبية الحاكمة أو الأقلية المعارضة ومن شروط ضمان إعلام ثقافي ديمقراطي توفّر ما أسميه بـ"صدقية الضمير الصحفي"والتي هي الأساس و المنهج الوحيد لضمان إعلام ثقافي ديمقراطي وحرّ وليس توفّر نصوص قانونية وهياكل رسمية هي التي ستكون قادرة على تأمين السبيل القومية للنهوض بواقع الإعلام حتى نؤمّن بذلك إعلاما محايدا مستقلا ونزيها ينقل الحدث الثقافي بنزاهة وصداقية وإنصاف ويقدّم القراءات والتحاليل الواقعية كما نؤكّد أن للإعلام الثقافي اليوم كذلك دور في ترسيخ ثقافة المواطنة وإشاعة قيمها وتعميق الوعي الوطني بالرهانات الثقافية وفي

ARCHIVE

تثبيت المجتمع المدني وترسيخ السلوك الديمقراطي وتعزيز الوفاق وروح التآزر والتضامن بين المثقفين والمبدعين في ظلّ هامش الحرية المفتوح اليوم في ظلّ هذا الانتقال الديمقراطي الذي ساعد الفكر الإعلامي من التحرّر – ولو بقوة- من كل المكبلات الاجتماعية والثقافية والسياسية وللنجاح في هذا على الهياكل الثقافية والفنية والإبداعية بمختلف اختصاصاتها اليوم وفي شراكة مع وسائل الإعلام أن تصوغ إستراتيجية جديدة حول سبل التعامل المهني والحرفي في ما بينها مع ضمان شروط تجسيم أخلاقيات المهنة الصحفية وذلك من خلال:

– عدم اقتصار وسائل الإعلام على النقل الجاف والحرفي للحدث الثقافي بل من الضروري تشريك المواطن والمثقف والشاب من فرصة تقييم هذا الحدث والتعبير عن قراءته له ورؤيته وتطلعاتهم نحو مزيد تطوير هذا الحدث الثقافي من خلال فتح ملفات حوار حول المشهد الثقافي الوطني والجهوي.

– مزيد إشعاع "إذاعة تونس الثقافية" بحكم اختصاصها على الجهات بمزيد إيصال بثّها عبر المناطق الداخلية بتقوية موجات بثّها وعدم اقتصارها على المركز وبتوزيع شبكة من مراسليها بهذه الجهات يوكل لها إلى جانب مواكبة الأحداث الثقافية تأمين حوارات وملفات ثقافية مباشرة من الجهات.

– تكوين خلايا للإعلام الثقافي بالمندوبيات الجهوية للثقافة بالجهات على أن تكون مستقلة وتكون همزة الوصل بين الإدارة الإعلامية والإدارة الثقافية على غرار ما بادرت به المندوبية الجهوية للثقافة بجندوبة التي بعثت خلية للإعلام الثقافي حظيت بشرف رئاستها وحققت جدواها من حيث تأمين إيصال المعلومة الثقافية بدقة وموضوعية لمختلف وسائل الإعلام إلى جانب تشريكها للمراسلين الصحفيين الجهويين حتى في مقترحات البرمجة الثقافية.

– تركيز نواد للإعلام الثقافي بدور الثقافة لضمان تطوير الإعلام الثقافي للإدارة الثقافية وتنظيم مصافحات دورية بين روّادها ورجال الإعلام عبر لقاءات حوارية والحرص على تجميع المقالات الصحفية ذات الصلة بنشاطها والسعي لتنظيم معارض لهذه المقالات أو تجميعها سنويا بين دفتي كتيب يطبع ويوزّع على القاعدة الثقافية الموسّعة بالجهة كما من بين أدوار هذه المؤسسات الثقافية تنظيم بالتعاون مع المؤسسات الإعلامية الجهوية تربّصات للشباب ولروّادها في تقنيات العمل الصحفي السمعي والبصري كما يوكل للمندوبيات الجهوية للثقافة دور هام في تشريك إعلاميي الجهة في حضور اللقاءات الدورية الخاصة بمديري المؤسسات الثقافية والتي يقع خلالها عرض البرامج الثقافية ومناقشتها وبالتالي ضمان إيصال المعلومة الثقافية للعموم وضمان مساهمة الإعلامي في تقييم المشهد الثقافي ونقده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكل شفافية وديمقراطية ومسؤولية تأمينا لإعلام ثقافي موضوعي وشفّاف.

- تشجيع بعث النشريات الورقية الإعلامية الجهوية على أن يكون صدورها منتظما وتكون بمثابة الأحندا الثقافية الشهرية والسنوية تجسيما لمبدإ الخصوصية الثقافية الجهوية والتسويق في المجال الثقافي.

- بعث إذاعة نات Radio Net في شكل ناد لأهمية هذا النادي في التعريف بأنشطة دار الثقافة.

- تحفيز مديري المؤسسات الثقافية للمساهمة في التغطية الإعلامية للمشهد الثقافي كمراسلين.

- التفكير في إحداث إدارة عامة للاتصال بوزارة الثقافة تتفرّع عنها إدارات جهوية للاتصال بكامل المندوبيات على أن تكون إدارات مستقلة إداريا وماليا ومستقلة كذلك عن المندوبيات الجهوية للثقافة لتكريس اللامركزية الثقافية.

- مدّ الإعلامي بالمعطيات الحينية والموضوعية ذات الصلة بالشأن الثقافي.

- مزيد تمكين الإطارات المختصّة للمشاركة والمساهمة في المجال الإعلامي.

في الختام نؤكّد أن الإعلام الثقافي يظلّ دعامة أساسية من دعائم المشروع المجتمعي لذا من الضروري تشجيع النقد الثقافي لجميع مجالات الإبداع والحرص على إرساء تقاليد في هذا الميدان عبر وسائل الإعلام كما لا بد من تكثيف العناية بالتوثيق في جميع مجالات الإبداع بما يكفل الحفاظ على الذاكرة الوطنية في الميدان الثقافي وتوفير المعلومات الخاصة بتجارب المبدعين بنشر الأعمال الثقافية على أوسع نطاق وتعزيز حضور الإبداع التونسي في الفضاء الاتصالي المعولم مع العمل على ملائمة الخطاب الثقافي مع أشكال التبليغ الحديثة ومن الضروري في هذا الإطار أن تثري وسائل التبليغ الثقافي رسالتها في تكريس ديمقراطية الثقافة بجعل المادة الثقافية متاحة لكل مواطن تونسي وفي الآن نفسه عاملا في تنمية الحسّ الجمالي وذلك بنشر الأعمال الراقية التي تحقق إضافة للرصيد الثقافي الوطني ومن الضروري كذلك تعزيز العلاقة بين وسائل الإعلام والاتصال وهياكل العمل الثقافي بما يساعد على دفع حركة الإبداع في مختلف المجالات بالاعتماد على التقنيات والوسائط الحديثة وفي مقدمتها شبكة الأنترنات لمزيد نشر المنتوج الثقافي التونسي في الداخل وفي الخارج مع دعوة وسائل الإعلام الوطنية وخاصة السمعية والبصرية منها إلى مزيد الاهتمام بالبرامج الثقافية وذلك بتوسيع المساحة المخصصة لها وتحسين مضمونها فضلا عن التعريف بأعلام الثقافة الوطنية وبإبداعاتهم وبالعمل على ترجمة الأعمال الأدبية والمؤلفات التونسية القيّمة إلى اللغات الأجنبية والتعريف بها عبر مختلف وسائل التبليغ الثقافي والانخراط في مجتمع الإعلام والاتصال والاستفادة من الآفاق الرحبة التي تفتحها التكنولوجيات الحديثة لتأكيد حضور ثقافتنا في المشهد العالمي والتعريف برصيدنا الحضاري باعتبار أهمية دور الإعلام في توطيد أركان المجتمع المدني وتثبيت دعائم البناء الديمقراطي وترسيخ حقوق الإنسان.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دور مجلة الإتحاف
في إثراء المشهد الثقافي بتونس

بقلم: عبد الكريم العطياوي

تعتبر مجلة الإتحاف منارة مضيئة لولاية سليانة، ومعروفة بهذا الزخم الثقافي والأدبي لدى بقية الولايات الأخرى.

الأمر الذي جعل مجلس إدارتها، وهيأة تحريرها، تقيم لها مهرجانات خلال سنيّ مسيرتها الموفقة، وتستدعي لها ثلّة من المثقفين والكتّاب التونسيين البارزين ولا أدلّ على ذلك من اليوبيل الفضي الواقع في 26 أفريل 2010 والذي تجمّع فيه عدد كبير من الأدباء بمختلف مشاربهم، فكان بحق يوما مشهودا عنون بيوم الفرح.

كل هذا كان بفضل مدها الثقافي والإصلاحي، ومساهمتها الفعلية في جميع الملتقيات المتعلقة بالمهرجانات الثقافية السنوية الخاصة بمؤرخنا الكبير وأديبنا الحصيف أحمد ابن أبي الضياف، وذلك لصلة هذه المجلة الوثيقة بكتابه الشهير "**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**". مع أن هذا الأديب هو من أسرة أصلها من قبيلة أولاد عون مستوطنة بزاوية المجذوب سيدي الباهي شرق مدينة سليانة تبعد عنها 7كلم تقريبا.

وهو يعدّ بحق رائدا كبيرا من روّاد الإصلاح الذي استمدّه أوّلا من الشريعة الإسلامية، ومن كبار المصلحين أمثال ابن خلدون وخير الدين باشا التونسي والطهطاوي والشاطبي، وثانيا من مشاهدته المباشرة للنهضة الأوروبية، في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والعمرانية.

هذا الأديب الكبير والمصلح العظيم المعروف كما قلت قبل حين بكتابه إتحاف أهل الزمان. هو الذي بعث في تفكير زميلنا الأستاذ عبد القادر الهاني اقتباس اسم "مجلة الإتحاف" من إتحاف أهل الزمان، باعتبارها لبنة من ذلك الصرح الكبير، وكأني بالأستاذ عبد القادر الهاني، كان يريد من هذا الاقتطاف وحدة ثقافية متواصلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومستمرة إلى يوم الناس هذا، فنعم هذا الصنيع الذي بورك وأيّد من معظم أدبائنا السليانيين خاصة، والتونسيين عامة. وتجسّم ذلك بإصدار العدد الأول في شهر جويلية 1985، وكان يحتوي على جمع لا يستهان به من كتّاب الجهة اليافعين والشباب والرجال والنساء بمختلف مشاربهم ومذاهبهم الأدبية: كمحمد العياشي طاع الله، والحبيب الدريدي، وفاطمة الدريدي، وعبد القادر الهاني، ومحمد الناصر زروق وعبد الستار الهاني. وجاءت الأعداد الموالية لهذا العدد حافلة بكتّاب جدد أمثال عبد الكريم الوسلاتي وعبد الكريم العطياوي وعبد الحميد البراري وغيرهم كثير. كما اشتملت بقية الأعداد الأخرى على كتّاب خارج ولايتنا-أذكر البعض منهم على سبيل المثال لا الحصر- كالأستاذ أبي القاسم محمد كرّو، ومحمد الصالح الحمزاوي والدكتور عبد الخالق الشلي وأبو زيان السعدي والدكتور صالح الداسي، ومحمد الرزقي ولطفي الشاربي وغيرهم كثير من الدول العربية.

الأمر الذي جعل محتواها، يحتوي على جمع غفير من الأدباء المحليين والتونسيين والعرب الذين جعل بينهم التواصل والوئام والتآلف والمحبة، وبالتالي التعلق بهذه المجلة التي كانت سببا في جمعهم واتحادهم لخدمة الأدب والمشهد الثقافي التونسي، لم يكن هذا من باب التنويه بمحتوى هذه المجلة، ولكن الحقيقة الساطعة التي كان يقرّ بها كلّ من ساهم بكتاباته الأدبية والثقافية والعلمية في رحاب هذه المجلة، وكل من كان يطالعها ويقف أولا على عدد هام من الكتّاب بمختلف أصنافهم ومشاربهم كأدباء الطفولة والشباب الذين تطرقوا إلى أنواع كثيرة من الفنون الأدبية: كالبحوث والدراسات والشعر والقصة والرواية والوصف والغزل والتاريخ والجغرافيا والعلوم العصرية: كالطب والزراعة والصناعة، حيث استطاعت هذه الأقلام أن تثري المشهد الأدبي والثقافي بولايتنا، وتقدّم المدد الثقافي أيضا للمشهد الثقافي بتونس بدون من ولا رياء، وذلك باحتضانها كما قلت قبل حين لعدد كبير من الأدباء والمثقفين بتونس وبالدول العربية المجاورة الذين قدموا خدمات جليلة لمجلتنا هذه بمقالاتهم الأدبية المستمرة إلى يوم الناس هذا بدون مقابل، نظرا كما قلت لتعلقهم المتين ومحبتهم لها باعتبارها مجلة رائدة في قطرنا التونسي، حيث وصل مدها إلى بعض الأقطار العربية الأخرى التي احتضنتها بكل حب، واقتنت منها أعدادا كبيرة،وراسلت باعثها، تكبره وتقدّره وبالتالي تقدر أقلام محرّريها وأسرتها المتشبثين بها.

هذا التقدير والتكريم المعنوي من قبل أولئك الأدباء لمجلتنا شهادة، تعبر بها، إذ تدلنا على أن أدباء ومثقفي سليانة بمساهماتهم الثقافية والأدبية المتواصلة إل حد الساعة، لدليل قاطع على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمسكهم بهذا الجهد المستمر المحمود في إثراء المشهد الثقافي بتونس، حيث أن هذه المجلة لم تغفل عن مواكبة الأحداث الوطنية بتونس، فقد تحدث أدباؤنا عن مسيرة الحركة التحريرية بشتى أنواعها وسبلها ضد الاستعمار الفرنسي، وعن المجاهدين المخلصين الذين فدوا بأرواحهم هذا التراب الغالي، كما لم يفتهم التعريف ببعض المواقف البطولية ضد هذا الاستعمار الفاشل، كواقعة الزلاّج و9 أفريل، وغيرها كثير، لتكون هذه المواقف البطولية الجهادية نبراسا وأسوة حسنة لشبابنا التونسي الذي كان بحق نسخة مطابقة للمناضلين، فبارك الله فيهم وأيدهم بنصره المبين.

كما تحدث البعض منهم عن ثورة تونس ومكانتها في الساحة العالمية، وعن مكانتها أيضا من الحركة الديمقراطية، وأنّها أمّ الثورات بدون منازع، كما جاء في رحاب صفحات مجلتنا المحبوبة موضوع هام له من الأهمية بمكان ألا وهو: دور المجلس الوطني التأسيس في تحقيق أهداف الثورة التونسية، وجاء أيضا على صفحاتها موضوع يعتزّ به كتّاب مجلتنا، باعتبارها كما قلت قبل حين لبنة مخلصة وصادقة من لبنات إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لكاتبنا ومصلحنا أحمد بن أبي الضياف الذي تحدث عن منزلته في الحركة الإصلاحية أرجو من جنابكم الكريم السماح لي بأن أذكر فقرة من كتابه الكبير، تبيّن وجهة نظره في الحكم، فاختار الحكم المقيد بقانون: الذي يعتبر الصنف المفضل لديه: "وصاحبه ظلّ الله في الأرض، ينتصف به المظلوم، وتداوى بعد له الكلوم، لأن أمره دائر بين العقل والشرع. ولا صلاح للشعب إلا به، ولا يمكن حصول الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي والعمراني والأمن إلا بالتمسك بهذه القوانين التي فرضت على ابن أبي الضياف الاعتزال لإتمام كتابه وتسجيل تلك القوانين في آخر حياته، حين فاجأته الوفاة في 29 أكتوبر 1874.

بناء على هذا أتوجه إلى إخوتي المثقفين من كتّاب وأساتذة ومهندسين وأطباء ومحامين وقضاة ومعلمين وإداريين وصحافيين وصناعيين وفلاحين وعمله، أن يحتضنوا مجلتهم الإتحاف، كما احتضنتهم هي، وبوأتهم مكانة سامية، وذلك بالإقبال عليها واقتنائها بواسطة الاشتراك السنوي والشراء، حتى يؤدّوا بذلك خدمة جليلة لكتّابهم الذين قدموا لمجلتهم التي وصل صداها خارج الوطن، وهي لازالت تشق طريقها وتثبت للداني والقاصي قدرها وحياتها، إذ بلغ عددها 226 عددا وقد تجاوزت 28 سنة من حياتها بحكم هذا أثق في مواطني ولايتنا الحبيبة بمختلف أصنافهم، أن يحققوا رغبة كتّاب المجلة وذلك باقتناء مجلتهم.

وفي الختام أشكر واقدر كلّ المؤسسات والجمعيات والأفراد الذين شجعوا مجلتنا بالاقتناء وجعلوها حيّة مستمرّة إلى يوم الناس هذا، كما جعلوها صامدة مثل بقية المجلات العالمية ودمتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من وجوه إعجاز القرآن

(3)

بقلم: د صالح داسي

– **تناوله للعلوم الكونية:** وحين تناولها راعى في ذلك اعتبارات خمسة:

أولا: أنّه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء، فالقرآن كتاب هداية وإعجاز، وعلى هذا لا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز.

ثانيا: أنه دعا إلى هذه العلوم في جملة ما دعا إليه من البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم، قال تعالى:"وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" سورة الجاثية:13.

ثالثا: أن القرآن لما عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربوبة لتعالى وقهورة لمراده.

رابعا: أن القرآن عرض الآية كونية في معرض من معارض الهداية، يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون، الخبير بأسرار السماوات والأرض.

خامسا: أن الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمط وحيد (82).

6–سياسته في الإصلاح: ومعنى ذلك أن القرآن انتهج منهجا عجيبا في إصلاحه، وذلك من الوجوه الآتية:

*–جاء منجما وفي ذلك مخالفة لسائر كتب الله للأنبياء

*–اشتماله على أسلوب شائع رائع ليكون ذلك داعيا الناس إلى الإقبال عليه والاستئناس بما جاء من تعاليمه.

*–مجيء هذا الكتاب على غير المعهود في تأليف القوانين والعلوم والفنون والآداب فأنت تجد في الغالب كل سوره من سور القرآن جامعة لمزيج من مقاصد وموضوعات يشعر الناظر فيها بمتعة ولذّة، كلما انتقل بين هذه المقاصد في السورة الواحدة.

*–تكرار ما يستحق التكرار من الأمور المهمّة حتّى يجد سبيله إلى النفوس النافرة والطباع العصية

*–مخاطبة الأفكار والعقول ودعوته إلى إعمال النظر وطلب الدّليل والبرهان ونعيه على من أهمل العقول واستمرؤوا التقليد الأعمى.

*–استغلاله الغرائز النفسية استغلالا صالحا بعد أن يهذّبها بالدّليل ويصقلها بالبرهان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

*-ترتيبه الأوامر والنواهي ترتيبا يسع جميع الناس على تفاوت استعدادهم ومواهبهم.

*-مجيء القرآن بمطالب الروح والجسد جميعا.

*-مجيء القرآن بمطالب الدنيا والآخرة جميعا.

*-مجيء القرآن بالتيسير ورفع الحرج عن الناس (83): "وما جعل عليكم في الدّين من حرج" سورة الحج: 78. "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" سورة البقرة : 185.

7-أنباء الغيب : فالقرآن اشتمل على كثير من الغيوب التي لا علم لمحمد صلى الله عليه وسلم بها، ولا سبيل لمثله أن يعلمها، والغيب يتعلق : بغيوب الماضي، قال تعالى: "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا" سورة هود: 49. وغيب الحاضر: وهو ما يتصل بالله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار وسورة التوبة فيها من هذا النوع شيء كثير. ومن الغيب الحاضر والماضي ما جاء في طيّ القرآن من حقائق ومنافع ومبادئ لم يكشف عنها إلاّ العلم الحديث.

وغيب المستقبل: مثل إخبار القرآن عن الروم بأنهم سينتصرون في بضع سنين من إعلان هذا النبأ، قال تعالى: "ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم" سورة الروم: 1-4. وبيان ذلك أن دولة الرومان وهي مسيحية كانت قد انهزمت أمام دولة الفرس وهي وثنية في حرب طاحنة بينهما سنة 614م فأغتم المسلمون بسبب أنها هزيمة لدولة متديّنة أما دولة وثنية وفرح المشركون وقالوا للمسلمون في شماتة العدو: أن الروم يشهدون أنهم أهل الكتاب وقد غلبهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم فسنغلبكم كما غلبتم فارس الروم فنزلت الآية (84). وقد أورد (محمد عبد العظيم الزرقاني) إحدى عشر مثالا للإعجاز الغيبي للمستقبل فمن شاء فليطالعها في كتابه (مناهل العرفان) (85).

8-آيات العتاب ومعنى ذلك أن القرآن سجل في كثير من آيته بعض أخطاء في الرأي على الرسول صلى الله عليه وسلم ووجه إليه بسببها عتابا تشعر بلطفة تارة وبعنفه أخرى ولا ريب أن العقل المنصف يحكم جازما بأن هذا القرآن كلام الله وحده، ولو كان كلام محمد صلى الله عليه وسلم ما سجل على نفسه هذه الأخطاء وهذا العتاب (86). يقول محمد عبد المنعم الزرقاني: "آيات العتاب نوعان:

أولا: نوع لطيف لين مثل قوله تعالى في سورة التوبة: "عفى الله عنك لما أذنت لهم حتّى يتبين لك الذين صدقوا ونعلم الكاذبين" سورة التوبة: 43.

ثانيا: ونوع عنيف خشن، وإليه أشار سبحانه وتعالى: "ما كان لنبيء أن ليكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم" سورة الأنفال: 67.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك أنه وقع في أسر المسلمين يوم بدر سبعون من أشراف قريش فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فيهم، فمنهم من أشتدّ وآلى عليهم إلاّ السّيف، ومنهم من رق لحالهم، وأشار بقبول الفداء منهم، وكان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرحمة ما خيّر بين أمرين إلاّ اختيار أيسرهما ما لم يكن إثما، فرجح رأي من أشار بقبول الفداء عسى أن يسلموا ويخرج الله من أصلابهم من يعبده ويوحده، ولينتفع المسلمون بمال الفدية في شؤونهم الخاصة والعامة، ولكن ما لبث حتى نزلت الآية الكريمة المذكورة، وفيها تسجيل لذلك الخطأ الاجتهادي المحمّدي فلو كان القرآن كلامه صلّى الله عليه وسلم ما سجل على نفسه ذلك الخطأ. ومنه قوله تعالى: "عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعلّه يزّكى أو يذكّر فتنفعه الذّكرى أمّا من استغنى فأنت له تصدّى وما عليك ألاّ يزّكى وأمّا من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى كلاّ إنّها تذكرة فمن شاء ذكره" سورة عبس: آ 1-9 ما نزل بعد طول الانتظار معنى ذلك أن في القرآن آيات كثيرة تناولت مهمّات الأمور، ومع ذلك لم تنزل إلاّ بعد طول انتظار، فدل هذا على أن القرآن كلام الله لا كلام محمد، لأنه لو كان كلام محمد ما كان لهذا الانتظار معنى، فإن الانتظار شاقّ وتعلّقه بمهمات الأمور يجعله أشقّ، خصوصا على رجل عظيم يتحدى قومه بل تحدّى العالم كله وضرب (الزرقاني) لهذا الوجه أمثلة خمسة.

أ-حادث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، نزل فيه قوله تعالى :"قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطرا المسجد الحرام وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره" سورة البقرة : آ 144. فلقد طال الأمر برسول الله صلّى الله عليه وسلم سنة ونصف وهو يتحرف شوقا إلى تحويل القبلة إلى الكعبة، وهو يستقبل بيت المقدس، فلو كان القرآن من وضعه لنفس عن نفسه وأسعفها بهذا الذي تهفو إليه نفسه ويصبوا إليه قومه.

ب-حادث الأفك، وهو من أخطر الأحداث وأشنعها، لم ينزل القرآن فيه إلاّ بعد أن مضى على الحادث قرابة أربعين يوما، على حين أنه يتصل بعرض الرسول وعرض صديقه أبي بكر الصديق، وقام على اتهام أمّ المؤمنين عائشة الصديقة ورماها بأقذر العار وهو عار الزنى، فلو كان القرآن كلام محمد ما بخل على نفسه بتلك الآيات التي تنقد سمعته وسمعة زوجه الطاهرة (87).

ج-ما ورد من أن النبي صلّى الله عليه وسلم سئل عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فقال لسائله : "ائتوني غدا أخبركم" ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحي حتّى شقّ عليه ذلك وكذّبته قريش وقالوا : ودّعه وقلاه أي تركه ربّه وأبغضه فأنزل الله : "والضّحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى" سورة الضحى : 1-3.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د-ما ورد من أنه لما نزل قوله سبحانه وتعالى : "وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله" سورة الأحزاب :54. ، اخلعت قلوب الصحابة وذعروا ذعرا شديدا لأنهم فهموا من هذه الآية أنّ الله تعالى سيحاسبهم على كل ما يجول بخاطرهم، ثم سألوا فقالوا : يا رسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها، فقال لهم النبي صلّى الله عليه وسلم : "أتريدون أن تقولوا كما قال الكتابيين من قبلكم : سمعنا وعصينا بل قولوا : "سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" سورة البقرة : 285. فجعلوا يقولونها ويتضرعون إلى الله حتى أنزل الله : "لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها" سورة البقرة : 286. فسكنت نفوسهم واطمأنت قلوبهم، وفهموا أنهم لا يحاسبون إلاّ على ما يقع تحت اختيارهم.

هـ - ورد أن كبير المنافقين عبد الله بن أبي لما توفي، قام إليه النبي صلّى الله عليه وسلم فكفنه في ثوبه وأراد أن يستغفر له، فقال له عمر : أتستغفر له وتصلّي عليه، وقد نهاك ربّك ؟ فقال صلّى الله عليه وسلم : إنّما خيّرني ربّي فقال : "سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين" سورة المنافقون : 6. وسأزيده على السبعين ثم صلى عليه، فقال تعالى : "ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره" سورة التوبة : 84. فترك الصلاة عليهم " (88).

10-مظهر النبي صلى الله عليه وسلم عند هبوط الوحي عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في أول عهده بالوحي يتعجّل في تلقفه، ويحرّك لسانه بالقرآن من قبل أن يفرغ أمين الوحي من إيحائه إليه، وذلك للإسراع بحفظه والحرص على استظهاره حتّى يبلّغه للناس كما أنزل وكان الرسول صلّى الله عليه وسلم يجد في نزوله شدّة، حتّى أن جبينه ليتفصّد عرقا في اليوم الشديد البرد فاقتضت رحمته الله به أن يخفف عنه هذا العناء فأنزل عليه سورة القيامة أن يخفف عنه هذا العناء فأنزل عليه سورة القيامة "لا تحرّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثم إن علينا بيانه" سورة القيامة : 16-20. وبهذا اطمأن الرسول ثقة بأنّ الله قد تكفل له بأن يجمع القرآن في صدره، وأن يقرأه على الناس كاملا لا ينقص كلمة ولا حرفا وأن يبين له معناه، فلا تخفى عليه خافية منه (89).

11-آية المباهلة، وذلك أن القرآن دعا إلى المباهلة وهي مفاعلة من الابتهال والضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد، فأبى المدعوون وهم النصارى من أجل نجران، أن يستجيبوا لها وخافوها ولاذوا بالفرار منها، مع أنها لا تكلفهم شيئا سوى أن يأتوا بأبنائهم ونسائهم ويأتي الرسول بأبنائه ونسائه ثم يجتمع الجميع في مكان واحد يبتهلون إلى الله ويتضرعون إليه بإخلاص وقوّة، أن ينزل لعنته وغضبه على من كان كاذبا من الفرقين، قال تعالى : "فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" سورة آل عمران : 61.

يقول محمد الزرقاني : "أليس هذا دليلا ماديا على أن القرآن كلام الله القادر على إنزال اللّعنة وإهلاك الكاذب، ثم أليس قول محمد لهذه المباهلة على امتناع أعدائه دليلا على أن صدقه في نبوته كان أمرا معروفا مقرّرا حتّى في نفوس مخالفيه من أهل الكتاب. وإلاّ فلماذا نكوا على أعقابهم ولاذوا بالفرار من المباهلة" (90).

12-عجز الرسول صلّى الله عليه وسلم على الإتيان ببدل له، وذلك أن أعداء الإسلام طلبوا من النبي صلّى الله عليه وسلم أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، أو أن يبدله فلم يفعل، وما ذاك إلا أن القرآن ليس كلامه، بل هو خارج عن طوقه، آت من فوقه ولو كان كلامه لاستطاع أن يأتي بغيره، وأن يبدله حين اقترحوا عليه لكنه أعلن عجزه عن إجابة هذه المقترحات وأبدى مخاوفة إن هو أقدم على هذا الذي سألوه، وتنصّل من نسبة القرآن إليه، قال تعالى : "وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن اتّبع إلى ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبل أفلا تعقلون" سورة يونس: 16.

13-الآيات التي تجرّد الرسول من نسبتها إليه : وذلك أنك تقرأ القرآن فتجد فيه آيات كثيرة تجرّد الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيها حرف أو كلمة، وتصفه بأنه كان قبل نزول القرآن لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، وتمتّن عليه بأنّ الله آتاه الكتاب والحكمة بعد أن كان بعيدا عنها وغير مستعدّ لهما، قال تعالى : "وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم كان فضل الله عليك عظيما" سورة النساء: 113 . وقال تعالى: "وكذلك أوحينا غليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان" سورة الشورى : 52. بل كان الرسول صلّى الله عليه وسلم يخاف انقطاع هذا المدد الفياض عنه فإذا فتر الوحي عراه الحزن على فترته والتلهف على دعوته، وأكثر من ذلك أنه كان يخاف أن ينزع الله من قلبه ما أنزل عليه وحفظه إياه، قال تعالى: "ولئن شئنا لنذهبن بالذّي أوحينا إليك ثم لا تجد لك علينا وكيلا إلاّ رحمة من ربّك عن فضله كان عليك كبيرا" سورة الإسراء: 86. يقول محمد عبد العظيم الزرقاني: "قل لي – وربك- هل يتصوّر منصف على وجه الأرض أن القرآن كلام محمد، بعد ما قصصنا من هذه الآيات التي تجرّده من إنشائه ووضعه، بل تجرّده من رجاء نزوله عليه قبل مبعثه، ومن رجاء بقائه لديه بعد نزوله عليه" (91).

14-تأثير القرآن ونجاحه: ومعنى هذا أن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغا خرق به العادة

في كل ما عرف من كتب الله والناس، وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام، وبيان ذلك أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب، ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه إلاّ على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قوي، لكن القرآن الكريم وحده هو الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، واشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، على حين أن الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، وأشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، على حين أن الذي أتى بهذا القرآن رجل أميّ لا دولة له ولا سلطان، ولا حكومة ولا جند، ولا اضطهاد ولا إجبار، إنما هو الإقناع والرّغبة والرّضاء والإذعان: "لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرشد من الغيّ" سورة البقرة: 256. "أما السيف ومشروعية الجهاد في الإسلام، فلم يكن لأجل تقرير عقيدة في نفس، ولا لإكراه شخص أو جماعة على عبادة، ولكن لدفع أصحاب السيوف عن إذلاله واضطهاده وحملهم على أن يتركوا دعوة الحقّ حرّة طليقة، حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فالقرآن نور هداية لإحياء العالم بدعوته وذلك عن طريق المعجز أسلوبه المعجز الذي هو الكلام، وبيان ذلك أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب، ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه إلاّ على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قوي، لكن القرآن الكريم وحده هو الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، واشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، على حين أن الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، وأشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، على حين أن الذي أتى بهذا القرآن رجل أميّ لا دولة له ولا سلطان، ولا حكومة ولا جند، ولا اضطهاد ولا إجبار، إنما هو الإقناع والرّغبة والرّضاء والإذعان: "لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرشد من الغيّ" سورة البقرة: 256. "أما السيف ومشروعية الجهاد في الإسلام، فلم يكن لأجل تقرير عقيدة في نفس، ولا لإكراه شخص أو جماعة على عبادة، ولكن لدفع أصحاب السيوف عن إذلاله واضطهاده وحملهم على أن يتركوا دعوة الحقّ حرّة طليقة، حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فالقرآن نور هداية لإحياء العالم بدعوته وذلك عن طريق المعجز أسلوبه المعجز الذي هو الكلام، وبيان ذلك أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب، ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه إلاّ على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قوي، لكن القرآن الكريم وحده هو الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، واشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، على حين أن الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، وأشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، على حين أن الذي أتى بهذا القرآن رجل أميّ لا دولة له ولا سلطان، ولا حكومة ولا جند، ولا اضطهاد ولا إجبار، إنما هو الإقناع والرّغبة والرّضاء والإذعان: "لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرشد من الغيّ" سورة البقرة: 256. "أما السيف ومشروعية الجهاد في الإسلام، فلم يكن لأجل تقرير عقيدة في نفس، ولا لإكراه شخص أو جماعة على عبادة، ولكن لدفع أصحاب السيوف عن إذلاله واضطهاده وحملهم على أن يتركوا دعوة الحقّ حرّة طليقة، حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك عن طريق المعجز أسلوبه المعجز الذي هو الكلام والمشاعر (92).

فهذه الأوجه التي بلغت أربعة عشر وجها كانت شاملة القرآن من حيث إعجازه البياني والعلمي والعقلي والنفسي، ومن حيث كونه معجزة دالة على نبوة محمد صلّى الله عليه وسلم، من حيث ثبوت كونه كلام الله باللّفظ والمعنى، لا كلام محمد صلّى الله عليه وسلم فكانت المجالات التي ذكرها الزرقاني من شاملة ضافية لمختلف أوجه الإعجاز من قريب ومن بعيد.

يتبـــع

الهوامش :

82-محمد عبد المنعم الزرقاني : " مناهل العرفان" ج2 : ص 355

83-محمد عبد المنعم الزرقاني : "مناهل العرفان" ج2 : ص 366

84-الزرقاني : "مناهل العرفان" ج 2 : ص 369

85-المرجع السابق : ج 2 : ص 364-380

86-المرجع السابق : ج2 : ص 389

87-الزرقاني : "مناهل العرفان" م 2 ص 395-396

88-الزرقاني : م2 : ص 398

89-محمد الزرقاني : "مناهل العرفان" م2، ص 399

90-محمد عبد العظيم الزرقاني : "مناهل العرفان" م2 – ص 401.

الدين أكبر زاجر للضمائر وأعظم مصلح للسرائر، رقيبهم في الخلوات ونصوح في المنلهمات بما حواه من نصائح وإرشادات.

أما الصلاة فهي رياضة أبدان وتهذيب وجدان وشتى فضائل يشبّ عليها الجواري والولدان. أصحابها هم الصابرون وعلى والواجب هم القادرون. عوذتهم البكور وهو مفتاح باب الرزق وأفضل ما يعالج به المخلوق التوجه إلى الخالق.

ضريبــة الفكـــر

بقلم: منير بن يونس

إن في التاريخ لعبرة لمن يمتطي عقله... قاصدا مدن النور المهجور والمسالك المظلة في الوجود الإنساني، فالتاريخ دون لنا ملاحم و أساطير عن فرسان العقل و بحنحي الفكر من علماء و متنورين ورسل وأنبياء ضاقوا من العذاب و الاضطهاد هم وأتباعهم ألوان ....من أجل علم أو مبدأ أو فكر أرادوا به رفع جهالة أو عتمة. فتغيير رأي الأسلاف والحكام بأمرهم يعتبر من الكبائر العرفية عند أصحاب النفوذ الذين يقودون شعوبهم من إليتهم بسمها مدّعين أنهم حراس نبوغ الجهالة ودهاليز (الطابو)- أو المحظورات –التي يرونا فيها مصدر زعامتهم ومركز حكمهم و مخالب بطشهم. هذا يجد الفكر الريادي و المفتوح على محظورات الأقوام المقيدة بممنوعاتها والمسحولة باسمها ...عذاب ابن حنيعل ومصير الحلاج وهيباطية.. وعليه أن يشرب سم سقراط.

وإذا كان أناجز اجوراس الذي رفض فكرة أن الشمس مركبة لإلهة قائلا بأنها قطعة من نار و القمر فوقه الجبال ونال جزاء مخالفة أعراف الإغريق من العذاب أشكالا و ألوان و مات سنة426ق.م وبرونا جوراس المتوفي سنة415ق.م و الكافر بالإلهة والقائل بان الإنسان هو مقياس الوجود...و أستاذة الحكمة هيباطية صاحبة الخمس وأربعين ربيعا والتي مزق جسدها أشلاء وألقي به إلى الكلاب الجائعة سنة415م على يد كيراس بطرك الإسكندرية,حيث مصير هذه الفتاة الفيلسوفة هيباطية والأسقف الاسباني الذي أحرق سنة 385م بتهمة المرطقة المانوية الخ..

ولم يكن العهد الإسلامي بعيدا عن مثل هذا الاضطهاد رغم ما ناله أتباع الفكر المحمدي من تعذيب وظلم فأنهم لم يبخلوا به على من يخالفهم خاصة في عصور الخلافة.

وما أنزل بابن حنبعل على يد المأمون و المعتصم لعدم إقراره ببدعة خلق القران، وما حوكم به الحلاج من ضرب و تعذيب وصولا لقطع يديه و قدميه و رأسه في عهد الخليفة المقتدر.

وما آل إليه السهروردي في عهد صلاح الدين الذي أمر بقتله وهو في السادسة والثلاثين من عمره حيث قطع عنه الأكل والشرب، و كان ذلك بدسائس الفقهاء –أو المتفقهين – وقيل أنه هو من اختار طريقة موته... ومما ذكر فيه أنه من أبرع معاصريه في العلوم الحكمية والأصول الفقهية ليدفع ضريبة الفقه والحكمة المجدة سنة 586هجري.

إن هؤلاء الذين لاحقتهم محاكم التفتيش في كل عصر على خطيئة قيادة أدمغتهم إلى المناطق المحظورة وانتهاك (قداستها) ورغم كل ما لاقوه من معارضات وتعذيب استطاع كل من تجاوز بحلاوة

الفكر و قناعة المبدأ أن ينتصر لغريزة التطور والسمو بالكائن البشري لأعلى مراتب الإنسانية.

أما في هذا العصر المتبجح بحقوق الإنسان وما أبعده حتى عن حقوق الكلاب والقطط...

فان العقل فيه مرسوم عليه دولار مستنسخ ومرسل عبر رسائل قصيرة داعيا معاصريه للوحدة المعلبة في مصانع البيت المستبيض... على شاكلة النعجة دولي و من اتبع الهدي المعلب فهو المتبصر والحقوقي والمناضل الذي لا يشق له غبار في ساحات العمالة و اغتصاب الضمير... حتى أنك تصاب بالدوار وأنت تسمع أحدهم يتحدث عن العدل والمساواة و تحت قدميه جثث بني قومه وأمامه صور أطفال القسفور الأبيض والأسلحة الكيمائية متحدثا عن التقدم والازدهار الذي جاء به المتحوقفون من بني صهيون. وإخوانهم في عصبة الأمم النائمة لمقدرات الشعوب... والمتربصة بكل من يحاول التملص من فكر المداجن والعلب إلى ما يناسب مقدرات شعبه ومستلزمات تطوره لتلاحقه في كل شارع أو مضيق... تكيل له التهم الباطلة وتؤلب عليه عملائه باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي لا تعرف أين تختفي عند الوقوف على المجازر الصهيونية في فلسطين والعراق وأفغانستان... يخاطبوننا كتلاميذ بلا عقول في مدارس الفضيلة وكأننا لا نعلم بأن من يسوق لنا الفضيلة هم زعماء وداعمي الرذيلة... وحتى نهضم دروسهم علينا أن نضع نظراتهم عسى نمحو صورة المجازر المرتكبة من خلال قانون الغاب الذي يمارسون والإرهاب الذي يعتمدون.

ومن ضحايا زعماء الغاب ليس من نأوا بعقولهم وفكرهم عن المسخ والتدجين فحسب بل طال فنانين وشعراء أمنوا بقضايا شعوبهم وحاولوا أن يصرخوا بأقلامهم و ريشاتهم في وجه الظلم والقهر والاستبداد ويكفي أن نذكر هنا شهيد الكاريكاتير العربي ناجي العلي الذي تسهد دماءه التي تعطر شوارع لندن بانتكاسة الحقوق والحريات في زمن العنصرية العقائدية... وهو الذي عاش ومات مقاوما برسومه الناقلة لمعانات شعب بل أمة منذ نعومة أظافره في سن التاسعة ملاحقا من قبل الموساد ليفر بطفولته إلي الكويت ومنها إلي لبنان ولندن وهو يقدم حنظلة رمزا لريشته وقلمه... قبل أن تغتاله يد الأحرام العالمية سنة 1987. وليكون شهادة حية على حرية الرأي التعبير التي يتحدّقون علينا بها في كل المحافل... وبذبحوننا بسمها ويسفكون دماءنا في عواصم الضباب والمعايير الحقوقية المفصلة حسب الحالة والهوية للمطالب... في مطابخ التواطؤ، ناجي العلي برسومه الناقلة لمعانات الشعب الفلسطيني والذي مازال يعاني إلي اليوم سفك دمه بيد باردة.. فيما أقزامهم يتطاولون على مقدساتنا وعقائدنا برسوم تنبئ بجهالة صاحبها ومع ذلك يقلدوه وسام حرية الرأي بكل وقاحة في نفس العاصمة التي تشهد دماء ناجي العلي عن مدى احترامها لحرية الرأي والتعبير.

وإذا كان لا يسعنا المجال للحديث عن كل اللذين نالوا نصيبهم من الاضطهاد والتنكيل والموت بسبب مواقفهم الفنية أو الإبداعية..المناصرة لقضايا شعوبهم وأمتهم فسأكتفي باثنين وهما ناجي العلي والشاعر العراقي مظفر النواب الطي دفع فحولته ثمنا لمواقفه وأشعاره القومية والمؤسف أنه على يد نضام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قومي عربي -أو كما يروج له- وهنا المفارقة بين الشعارات والخطب وبين الممارسة والتطبيق... فلا غرابة في عصر النفاق الإيديولوجي أن يقتل الأئمة وعلماء الدين على يد الجماعات الإسلامية ويعلق الشعراء القوميين من عوراتهم على يد المنتسبين للقومية... وليس أبلغ هنا من تعبير مظفر النواب نفسه "قتلتنا الردة

يا مولاي

قتلتنا الردة

فان الواحد منا

صار يحمل بالداخل

ضد

من هنا نفهم أن الحكم والسلطة ليس لها فكر إذا ما تحول الجالس على الكرسي إلى أسطورة... واجتمع حوله المرتزقة من المهللين والمطبلين... حتى وان كان قاده فكر معين إلى الحكم فان المهللين يصنعون منه فريد عصره وفلتة زمانه بما يجعله يرى نفسه قديسا بعده الطوفان ليصبحوا دما في يد الأهواء... ويموت فيهم كل فكر وتحنط عقولهم في معابد الانتهازيين ومقاولي الدعاية ليشكلوا حسب الظرف، قوميا تارة ينكل بكل متعبد... ومتدينا تارة أخرى يغازل الورع والتقوى ومتعولما يناصب العداء لتيارين السابقين معا بسم الوطنية والانفتاح ألانبطاحي.

"سيدتي نحن بقايا مثلك

يزني بنا القهر الكاذب

و الدين الكاذب

و الفكر الكاذب"

"اقسمت بتاريخ الجوع

و يوم السغبة

لن يبقى عربي واحد

إن بقيت حالنا هذه الحالة"

(مظفر النواب)

وقبل أن أختم حول هذا الشاعر العربي الكبير بشعره ونضاله القومية مواقفه التي تثبت أنه قومي ووطني من اللذين تتشرف بهم هذه الأمة ويكفي أن نذكر له موقف أوردته صحيفة العربي وهو طريح الفراش بأحد مستشفيات دمشق عندما زاره رئيس حكومة الاحتلال الأمريكي في العراق نوري المالكي حاملا له صكا بعشرات الآلاف من الدولارات عارضا عليه العودة إلى العراق في طائرة خاصة من تكفل الحكومة بمصاريف علاجه... فكان رده ليس غريب على من وهب نفسه لمبادئ أمنا بها ودفع الثمن غاليا في سبيلها... قاله حرفيا "أنا أكبر معارضي صدام حسين و مهما اختلفت مع دكتاتوريته فانه لم يبع العراق ولم يكن عميلا مثل اللذين نصب أنفسهم حراسا لمصالح الاحتلال على حساب جثث نساء وأطفال العراق". ومزق صك العمالة والخيانة ليبقى الكبير كبيرا والصغير صغيرا مهما تطاوس العملاء وتصاقر الخونة.

ليذكرنا في موقفه من خصمه واعترافه له بعدم الخيانة للوطن بشاعر أخر كبير مثله وهو عنترة ابن شداد وهو يصف خصمه وشجاعته.

"ومدجج كره الكماه نزاله

لا ممعن هربا ولا مستسلم"

وتلك هوية العربي الحق الذي يدافع عن محاسن الخصوم مثلما يواجه و يقاوم مساوئهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكريم الشعراء الشعبيّين

بقلم: عبد القادر الهاني

عندما اتصلت بي السيدة أمال الطالبي في مقر مجلة الإتحاف للتحاور في ما من شأنه إنجاح التظاهرة الثقافية: الملتقى الوطني للشعر الشعبي بكسرى التي تقرر تنظيمها في بلدة كسرى هذه السنة، إذ الأمر يستوجب مشاركة شعراء شعبيين من الجهة. جاءت تبحث عنهم وتسترشد عن عناوينهم حرصا منها على دعوتهم للمشاركة.

أذكر أني أطرقت مليّا، أبحث في ذاكرتي عما إذا كانت مازالت تحتفظ بأسماء شعراء شعبيين، وبعد لأي تذكرت شاعرة شابة لها محاولات في قول كلام هو في ذلك الوقت كلام قريب جدا مما يتغنّ بالشعر بالعامية، وعلى شاعر هو أقرب إلى سن الكهولة منه إلى سن الشباب متمرس على قول الشعر الشعبي، وبعد أن أرشدتها إلى من قد يدلّها على عناصر أخرى قلت لها: أن قبول تنظيم هذه التظاهرة في جهة سليانة هي بالتأكيد ورطة، وبالتأكيد كذلك هي نعمة الورطة. ذلك أنه كثيرا ما تُحلُّ إشكاليات حقيقية عندما تتأزم الأمور وتضيق المساحات وليس في الأوقات العادية ومع اتّساع المسافات.

إذ لعل انعقاد الملتقى الوطني للشعر الشعبي في جهة كسرى من ولاية سليانة يكون فرصة للقيام بإجراءات حازمة من شأنها أن تنهض بقطاع الشعر الشعبي من جديد وتعيد لجهة سليانة ألقها التاريخي في هذا الفن الشعبي بامتياز.

أنا شخصيا اهتممت بهذا القطاع في ثمانينات القرن الماضي عندما كنت بصدد تأليف كتاب "صفحات من تاريخ سليانة الحديث" الذي صدر بعد ذلك في سنة 1991، حيث خصصت فيه فصلا بعنوان "رصيد الجهة من الشعر الشعبي" استهللته بالقول: "على غرار عمل ابن أبي الضياف في الاقتصار على التأريخ لمن فارق الحياة من أعلام زمانه، كان تعاملنا مع الشعراء الشعبيين الأعلام أبناء جهة سليانة، وعددهم وفق هذا التمشي سبعة شعراء.

وصلنا من شعرهم مقادير متفاوتة من حيث الكم، لكنها كلها تنبئ عما لأصحابها من قدرة إبداعية تفسر رصيدهم الكثير من الشهرة التي صاحبتهم في حياتهم وتواصلت بعد مماتهم.

هؤلاء الشعراء هم: على الدليوي العياري، محمد اليحياوي، عمارة طاع الله، محمد الصادق الحمادي، محمد العبيدي، علي الجبالي، محمد العياري، أما الشعراء الأحياء فهم: الحفناوي طاع الله والصغير الخضراوي وعمر اليحياوي الذي توفي بعد ذلك في الروحية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد استخلصت انه لا بد من التأكيد على ما لهذه التظاهرة قيمة تاريخية، وتأريخية واجتماعية، تستوجب إلى جانب قيمتها الذاتية حفظها من الأذكار باعتبارها أدبا صادرا عن مبدعين جديرين بالتخليد. كذلك لاحظت أن ضياع الكثير من الأشعار أمر طبيعي بالنسبة لإبداع يعتمد في بقائه على ذاكرة المغنين ومصاحبيهم من المرددين وإلى رواة الفصحى الشعبي الذين بدأت سوقهم في الكساد -بكل أسف- مع مطلع النصف الثاني من القرن العشرين وانسجاما مع مقتضيات التحول الحضاري السريع الذي شمل المدن والبوادي على حد سواء.

اذكر على سبيل الذكر لا الحصر الشاعر الشعبي محمد البحياوي:

"هو محمد بن الحاج بلقاسم بن محمد بن الحاج مسعود، مغربي الأصل لقب باليحياوي نسبة للمكان الذي استقر فيه، واتخذه موطنا له ولأبنائه من بعده وهو دير أولاد يحي من أحواز ربع سليانة معتمدية برقو حاليا."

"قدم جده محمد بن الحاج مسعود من المغرب وهو الذي سهر على تربيته وتعليمه، حفظ القران وشيئا من الحديث، أرسله إلى تونس العاصمة للتعلم في جامع الزيتونة. في تونس اشتهر بترتيل القران الكريم وأداء المدائح النبوية، فكان الناس يتسابقون للاستماع إليه بمناسبة الأعياد الدينية والمناسبات الشعبية، ثم ما لبث أن وجد في نفسه ميلا لقول الشعر والتغني به في الأفراح العائلية كحفلات الزفاف والختان وغيرها، انتهى به الأمر إلى الانقطاع عن الدراسة والرجوع إلى مسقط رأسه بدير أولاد يحي فاشتغل بالفلاحة مهنة وقول الشعر والتغني به هواية، وتوفي سنة 1940 عن سن تناهز 60 سنة، ودفن في القيروان على العادة المتبعة في ذلك الوقت".

"لم يبق من شعره إلا النزر القليل من حفظ ابنه الوحيد الشاعر عمر بن الحاج وفي الأغراض المعهودة من الشعراء الشعبيين أمثاله وصف المرأة، وصف الطبيعة، وصف الفرس، الإشادة بالشجاعة والكرم..

من أطرف ما قال شعرا قصيدة "حدود عقار" وفيه أسماء بقاع وأماكن وأسر ومقامات وكرامات بما يجعل هذه القصيدة وثيقة تاريخية جغرافية واجتماعية على غاية من الأهمية.

اليحياوي حبس بلاد بالكار
بعـد اماتـوا لا يجي واحد بحبار
اليحياوي حبس بلاد قداش
بعـد اماتو ما يجي واحد فياش
يلق حكم متصاعبا ما ينجمهاش
يتـكسر ويروح يرجع في مشوار
يتكسر ويروح ويرجع في الحيـن
يلق حكم متصاعبه والصور حصين
يجي يخدم حلات ما يلقاش وين
حـاجة صعيبـة عـل لفكار
حاجة صعيبة تعجز عليها العقول
باسم الله نستفتح نرتب ها القول
نـجيب أمنا معاهم زوز عدول
باش نحب نظهر حدود العقـار
باش نحب نظهّر حدودي بإبيان
حبل برقو قبلتي م البعد يـبان
نجيب راس الفلّة مع عين بوعبّان
من ثمّة نستحدرو انباتو في الغار
انـباتوا مباته باهية نباتو في خير

الصبحة ناخذ لذن م الشيخ مطير
ونشقّوا الزيتون نلق مرير كبير
ثنية كبيرة شاهرة صنعة كفّار
••••••••••••••
ثنية كبيرة شاهرة خدمها فرنسيس
نمشي معاها مقابلة نخمم وانقيس
نقصد دشرة عالية سماها بوتيس
فيها جماعة مخيّرا رخاله كبار
فيها جماعة مخيّرة حجّاج ملاح
شهدولي بالمعرفة من غير مزاح
هاك الحد الشرقي نمشي معاه براح
لنّي غيب متكاثرا صنوبر واوعار
تتلفّت لضهرتي حدّي مزّال
نقصد قبّة عالية "زيد" اليشهار
نقصد قبّة عالية اسم سيدي زيد
نقرا ثمّ الفاتحة ما نيش زهيد
حذا "البرّامة" تظهر ارواقيب كبار
حذا "البرّامة نظل نترقّب ونشوف
حدّي روس العلا وبينت من جوف
عرضني "الحاج عرفة" الياسر معروف
زاوية متسميا تجيها الزوّار
زاوية متسميا تزور فيها الناس
غنيت فيها قبل ناي في لعراس
ملاّ زاوية باهية ما ليها قياس
سيدي عرفة يبات والع بالتكرار
سيدي عرفة يبات والع القران
بقّيتو بالخير قلّي في لمان
كيف رجعنا لحدنا الّي كان زمان
أراضي مشقلبا حجرها يصفار

أراضي مشقلبا فيها صراصير
امشي معاها مقابله إذا كنت عريف
لذّتي بمقام كيف الشاش نظيف
"سيدي عمارة البهلي" سيّد م الحرار
سيدي "عمارة البهلي" سيّد مالسادات
ظاهر مشهور وامقامو ينعات
نستعوذ م الشيطان ونقرا آيات
نختمها بالفاتحة أم الأسوار
نختمها بالفاتحة أم القران
وانزيد القدّام راو الحال ازيان
تتلفّت الظهرتي تظهر بنيان
لنّي براج مشيدا تعجب لنظار
لنّي براج مشيدا تعجب تزيان
"بيت خليفة" شايدا من قبل زمان
هم راس "اولاد عون" والكل شجعان
واذا اتكذّب انشد الناس الحضار
هم "راس أولاد عون" والكل امداليل
"بيت خليفة" والعة بركوب الخيل
نهار النوب يخرّجو سرور وتكافيل
واركابات مذهّبة دير مع اعضار
وركابات مذهبة واكساوي حرير
نا توّ مزروب اتبقّوا بالخير
طلّينا على بقعة ماي ظهرت مزرير
عقبة "وسو" مقريج فيها اصطار
عقبة "وسو" مقريج وصطار حجر
كي زدنا القدام طلعنا "راس عنان"
ثم بقعة ملقّبا "بكدية معاد"
واراضي مستحسن للحرث خيار

أراضي مستحسن لحرث المحراث
هاك بقية الحد ما عاد ما مزال

نا راني نشاد على "حسونة" بحاث
نظّمته بقياس

ابيو "سيدي احمد" غوث م لغواث
"لله زهيلة" تو جتنا في مشوار

ماي زاوية تطعم الليل مع انهار
"لله زهيلة" وبنتها سكنو لجبال

ما زاوية تطعم الضيف الجيعان
بعد عزّفات وجميع المحال

ينزل ثم يبات متكفّي شبعان
هاك بقيت الحد ما عاد ما مزّال

ما ثماشي مثلها في كل إمكان
ارضي سحلتها في "اتريبونار"

واذا اتكذّب انشد الناس الحضّار
ارسوم مسحلا في دفتر حان

واذا اتكذّب انشد الناس الكلّ
"أولاد يحيى" في اترابها ولخرى سكّان

الله ينفعنا بركتو بجاه المختار
ثم بعض قدم شرو شويّ وطيان

الله ينفعنا بركتو بجاه الرسول
والشرّاع عجز من غلو الأسعار

"أولاد حمادة" ملاح واش عندك ما تقول
الشرّاع عجز والسعر غلا عليه

فيهم طلبة علم أما البعض عدول
الناس تسمع "بالربع" من كل برّ تجيه

يقروا كلام الله كبار مع صغار
هاك يجي هطّاي لوخر يعشّب فيه

يقروا كلام الله نظر كل اكتب
العندو بعير يهز القمح بأوذار

نا راجع للحد مستعجل زارب
العندو بعير يهز قمح بديه

نحاذي "الهنشير لبيض" ليس ليه نطب
بعت دفتر حان هل لديب اشبيه

أما الرّاحة تكون لازم في "زكار"
ها الملك الحدّيتو حا من عارض عليه

في "زكار" نرتاحو ثمّ للظّلّ
حجايج واشكايات باليحياوي غار

نشرب شربه هايلة كاينّي عسل
ها اليحياوي غار علا الملك الكل

لقينا "أولاد ميمون" متقفين حبل
لمدها باتمامها بحيره وجبل

ذكرنا في لول وعلاش التكرار
ياتينا برسوم صنع الناس قبل

ذكرناهم في لول حدّين بيه
نطلّوا ع المقصود كيفاش كان وصار

"بن خليفة" شيخنا وانزورو فيه
نطلّوا ع المقصود ويجيبو الخصمين

وين نختاحوا التّو نحوا نتجهّوا بيه
بطاقات معيّنا بجلسة لثنين

بقدرة ربّي يسخّر نزول الأمطار
جدّي شرا من جدهم مشني غوّار

بقدرة ربّي تمطر يتحلّى الهلواس
جدّي شرى من جدهم تو قدّاش

ويجيه المبوب يروّح لاباس
نا شاري بالمال ما اعطنيش بلاش

واعدول الكتبات طلبة شطّار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذهول المشاهد

شعر: عمر سبيكة

الإهداء : إلى النّازحين إلى أفق أحمق

و أسرح خلف ذهول المشاهد،

أرسم همهمة تتصاعد

في همهمات الصّدى المتصاعد،

أرسم في غمغمات الغمام غماما،

أبدّد في ظلمات الظّلام ظلاما.

و أهزأ من دولة

يعتلي عرشها سادس الخلفاء،

و أطفئ كأس المذلّة

في صيحتي،

أستحي من دم دافق يتدفّق

أستحي من دم الفقراء،

و مازال سيف الخليفة يطفئ آه الفقير المقيّد،

مازال سيف الخليفة يقطع شوق الشّروق المشرّد،

أسرح خلف ذهول المشاهد،

أسمح للنّازحين إلى أفق البلد

أن يضيفوا إلى الأفق الأحمق أفقا خافتا يتمادى،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و أسمح للعاطلين عن الأمل

أن يذيبوا المسافات،

أن ينحتوا بالمدى،

بالصّدى المتعاقب أنّاتهم.

****

و أسمح للظّلّ أن يقتفي أثر الظّلّ،

يسرح خلف خيوط الهفا،

و تدير الرّياح نوايا الحريق،

تذرّ الرّياح ذهول الفتى،

يذرّ النّشيد ذهول المرايا

على صفحات الحقيقة،

أسمح للطّير أن يترقرق بالنّظرات الغريقة،

أسمح للموت أن يتألّق،

أسمح للطّيف أن يقتفي أثر الطّيف

في خطوات المسافر،

أسمح للّيل أن يقتفي أثر اللّيل

في عتمات المقابر،

أسمح للخيل أن يقتفي أثر الخيل

بالدّمعة الدّامعه،

أسمح للماء أن ينحت الحيرة الشّاسعه،

أتصفّح في مطلع اللّيل أخبار محرقة

تتابع أنّاتها في دم النّازحين إلى أفق البلد،

إلى آخر اللّهب.

أتصفّح في مطلع الليل أخبار مذبحة

تتراءى براءتها في الدّم المتسامح...

****

بلا خجل

أتصفّح

في مطلع اليوم أخبار يومي القتيل،

و أسمح للماء

أن يتساءل،

ينزح

خلف دم النّازحين

إلى أفق البلد،

و أسرح خلف ذهول المشاهد،

أرسم همهمة تتصاعد

في همهمات الصّدى المتصاعد.

لا أنتهي

من صياغة إشراقة اللّحظة الغائمه

و أسمح للقلب

أن يطلق الخفقة العارمه،

أطلق الخفقة العارمه.

و لا أنتهي من صياغة حرّيّة الامتثال إلى أفق أحمق يتمادى.

و لا أنتهي من محاولة السّيلان إلى الضّفّة العائمه،

و لا أنتهي من محاولة الانتصار

إلى عسكر النّازحين إلى أفق البلد،

و لا أنتهي من محاولة الانتماء إلى اللّحظة القادمه.

****

بلا خجل

أترقّب أمسي الّذي يترقّب

في وضح النّظرات،

بلا خجل

أترقّب أمسي الّذي يتوثّب

في وضح الطّعنات.

بلا خجل

أترقّب أمسي الّذي يتعقّب إشراقة الأمس

في وضح اللّيل

يلمع في لمعان الغنائم،

يلمع

في ظلمة العسكر المنتصر...

أكاد أؤسّس أضرحة تتزيّن أطلالها في طقوس الجنازة،

لا أنتهي من صياغة حرّيّة الموت في وضح الأمنيات.

و لا أنتهي من صياغة حرّيّة الموت

في حضرة العسكر المتفوّق،

أهزأ من دولة العسكر المتفوّق،

أهزأ من دولة تتأسّس فوق رفات الحديقة،

أهزأ من دولة تستقيل على بابها،

يستباح على بابها الوطن

و الدم المتسامح...

****

و بلا خجل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يستقيل الخيال على باب دولتنا،

بل على باب دولتهم،

و البلاد الّتي تترقّب

أمسي الّذي يتوثّب

تنزح خلف دم النّازحين

إلى أفق أحمق يتمادى.

و أسرح خلف ذهول المشاهد،

أفتح نافذة تتفتّح في همهمات

الصّدى المتصاعد.

مِثْلَ المَجَانِينِ الكِبَار...

شعر: عبد القادر عليمي

تَمَامًا،

مِثْلَ المَجَانِينِ الكِبَار...

أَهُزُّ رَأْسِي

وَأُفَكِّرُ

فِي تَغْيِيرِ العَالَمِ

وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَة

تَنْمُو بِقَلَقْ...

أَتَسَكَّعُ بِمَا يَكْفِي تَحْتَ الشُّرُفَاتْ،

أَمْسَحُ الطُّرُقَاتْ

وَأَتَسَاءَلُ:

" مَاذَا يَصْنَعُ المَاضِي فَوْقَ أَكْتَافِي"؟

ثُمَّ،

أَلْبَسُ اللَّيْلَ قَمِيصًا مِنْ نَزَقْ

_*_

هَذَا الأَرَقُ الجَاثِمُ بَيْنَ أَعْطَافِي

مَالَهُ؟

كَيْفَ يَمَّمْتُ وَجْهِي شَطْرَ العَرَاءْ؟

كَيْفَ بَيَضْتُ اللَّيالي وَسَوَّدْتُ نَهارَاتي؟

وَكَيْفَ تَوَهَّجْتُ

دُونَ أَنْ تُبْحِرَ سَنَوَاتي القَدِيمَةُ

في زَوْرَقٍ مِنْ وَرَقْ؟

أُلَمْلِمُ طَرَفَ رَغْبَتِي،

أَعُودُ إِلَى نَفْسِي دُونَمَا حُزْنٍ...

وَلَا فَرَحٍ...

ثُمَّ، أَقْتَاتُ مِنْ لُغَةٍ نَافِرَةٍ...

أَسْرِقُهَا مِنْ حُدُودِ الوُضُوحِ...

وَحُدُودِ الأَلَقْ...

*_*_*

تَمَامًا،

مِثْلَ المَجَانِينِ الكِبَارِ

أَهُزُّ رَأْسِي

وَأُفَكِّرُ

فِي تَغْيِيرِ العَالَمِ

أُفْرِدُ الرُّوحَ لِلرِّيحْ،

أُفَتِّشُ فِي خُطَايَ عَنِ الأَرْصِفَةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَأَفْتَرِضُ أَنِّي

حَكِيمٌ اكْتَشَفَ:

هَشَاشَةَ الأَشْيَاءِ،

طَبِيعَةَ العَلاَقَةِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالبَحْرِ،

سَبَبَ تَحْدِيقِ القِطَّةِ فِي البَبَّغَاءِ،

سِرَّ اصْطِفَاقِ الأَجْنِحَةْ،

سِرَّ ٱلْتِمَاعِ الأَعْيُنِ عِنْدَ الوَدَاعِ الأَخِيرْ،

سِرَّ شَجَرَةِ التُّوتِ الأَسْوَدِ،

سِرَّ خَيْمَةِ الجَسَدِ الإِنْسَانِي،

سِرَّ القَيْمَةِ الخَجُولَةِ قَبْلَ المَغِيبْ،

وَسِرَّ... الشَّفَقْ ! !

*_*_*

تَمَامًا

مِثْلَ المَجَانِينِ الكِبَارْ

أَهُزُّ رَأْسِي

وَأُفَكِّرُ

فِي تَغْيِيرِ العَالَمِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فَكَيْفَ –تُرَانِي تَرَكْتُهُمْ– يَكْسِرُونَ المَرَايَا؟

وَكَيْفَ تَرَكْتُهُمْ –رِجَالًا وَنِسَاءً–

يَتَفَاوَضُونَ حَوْلَ غَفْلَتِي

وَرُؤَايَ؟

كَيْفَ تَرَكْتُهُمْ...

يَسْرِقُونَ الجَبَلَ مِنْ ثُلُوجِهِ البَيْضَاءِ،

وَيَسْتَبِيحُونَ وَرِيدَ النَّجْمَةِ الزَّاهِيَةْ...

وَجَمَالَ الغَسَقْ؟

*_*_*

قَمَرُ النَّعَالِ عَائِدٌ عَلَى العَتَبَاتْ! !

وَأَنَا –هُنَا–

أَهْرَشُ رَأْسِي

وَمِثْلَ المَجَانِينِ الكِبَارِ

أُفَكِّرُ – دَائِمًا–

فِي تَغْيِيرِ العَالَمِ

وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةٍ

تَنْمُو بِقَلَقْ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سارد هذا الثّرى في ريعان الوطن

شعر: صالح الطرابلسي

ما بين خريف وشتاء،
أمشي...
جسدا مثقلا بشموخ
هذا الثّرى
مغمورا بخصوبة هذي الأرض
هذه الأرض الخضراء، كم كانت
تلهمني المجد ضياء...
أتقصّى الزمن...
عبر كهوف الحاضر والماضي،
أفتح في مداي،
أفقا آخر للمستقبل

*****

هذه الأرض الخضراء...
كم كانت تشعلني
بطفولة...
كم كنت أتهجّى براءتها...
أختزل في أحرفي
من أعينها...
أحلامي سكرى...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدّخر من عتقها أنغاما

لقصيدة...

******

القصيدة دمي...

فوق هذه الأرض لها نشيج،

ولها...

فوق هذا البياض

تراتيل،

تردّدها المعاني صدى

لفصول خصبها ظمأ،

ولها...

أناشيد تدوّي في

زغاريد المطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأصحو على شواردها،

وأمضي سامقا كالنّخيل،

في سماء البلاد،

يبتني صرح ذراه...

أقطف

من سنا الشّمس عناقيد،

أعصرها خمرة معتّقة

ترتوي من سلافتها

أفئدة العاشقين

أهرّب الآن ذاتي من،
أساطير تسبح في سديد الظّلام...
أهرّب أفراحي إلى زمن
لا دم يسفك فيه ولا
عرضا يباع...
سأنتعل كلّ جراحاتي،
أنتشل الرّوح من مذابحها،
لأزرع شعاعا
يشرق في مداي
قوس قزح
سادر هذا الثّرى
في ريعان الوطن...
وله نكهة العشق
سأدعو القصيدة،
لتجمعه في أبجديّاتها
تعاليم ذات أعين ثاقبة...
تخترق كل جدران الصّدّ والعدم
تستشوف الزّمن الجريح،
بجدّ الصروف...
تدرك الشّمس في تخطيطها
للغد الموعود...

******

هي القصيدة، مرآتي

السّحريّة

كلّما الزّمان بها مرّ

عكسته

*****

هي قصيدة

في كلماتها...

جسدي يتشظّى

بقناديلها...

شارعي الدّاجي يستضيء

فتنقشع عن أفق مداه،

سدمات العدم

*****

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي القصيدة...

أيقونتي الغجريّة،

سأمضي وإيّاها

بعيدا... بعيدا

سنمطي مزن الغمام

الهطول...

*****

هي القصيدة بنار التّحدّي،

ستمطر كلّ المدائن

خراجها رجما،

خراجها رجما،

بنسف كلّ هذا الظلام

المستبد

****

هي القصيدة...

سأبذر فيها الورود

مدججة بالشّذى...

وأمدّ سماء في مداها،

مثقلة بالرّؤى غيثا...

يمطر الدّنيا، فيرتوي

الظامئون بمائها

مدرارا

****

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي القصيدة

أبسط في البياض البكر

أرضها

مزارع حنطة،

تأتي فراخ العصافير خماصا

فتزقّها وتغدو بطانا...

أضرب وإيّاها في هذا السّديم

خيمة نور،

ونؤسس للعاشقين

سمفونية من حياة

****

المارّون عبر أشعتها...

يستنشقون ضوءها الحادي

فينشون...

بالصّحوة والتّمرد...

****

المارّون عبر دروبها...

سوف يمدّ الوقت من

أحلامهم شوطا...

فيفتح أبوابه المستحيل

ويصدح للدّنيا،

صوته وصداه

****

المارّون عبر فجاجها...

لن يناموا، فيبطش

الظّلام بهم

لن يناموا، حتّى

يصنعوا لهذا الدّجى المستشري

صبحه وسناه

"سفـــر السّقـــوط"

قصّة: د. مراد الضويوي

شوارع المدينة المتعفنة، أرصفة المقاهي والحانات، بقايا القاذورات. دخان السجائر... عجيج السيارات. نساؤنا الكاسيات العاريات... زناديق البلاد وزهاد الديار. مراسيم الفتاوى وقرارات الإقالات.

لافتات الإشهار: فانتا لذتك تهز مشاعري، فانطازيا لباس الشباب. فاء: فارس، نون: ناجح طاء: طائر، زاي: زهرة، ياء: يانعة...

عيون نانسي.. نهود اليسا.. شفاه هيفا

للنساء فقط: استعملي ليلا تظلين منتعشة طيلة اليوم.

للشيوخ فقط: الهريسة التونسية والفياقرا الأمريكية من أجل شباب على الدوام.

حانات الأفلام الإباحية "غريزة أساسية" "فتاة من إسرائيل "مذكرات مراهقة" "صمت القصور" "عصفور سطح" يحط في حمام النساء...

واجهات الكتب الرسمية "الغريب" "السأم" "الوجود والعدم" "عابر سرير" "روايات كبير"

قرارات نعجة الأمم وعقوبات مجلس الأمن، بعثات التفتيش.. حصول العراق على نسخة من ديوان المتنبي بخط يده...

بردة عثمان ملوثة بدمه.. سيف علي وأثر وطأة النبي فوق الحرم القدسي...

ومحمد الدرة يصيح حنقا بأي ذنب أموت يا أبي؟ مقاريض الأعياد. أبجاد الأحداد. قصر الحمراء ملوك غرناطة. الساحات العمومية. حدائق إشبيلية ساحة السلام جامع الزيتونة..

مواخير الأحياء الشعبية. أزقتها المظلمة القاتمة. لهاث الجياع وراء غدران الظمأ الأزلي تعاسة البطارقة حجور نسائنا اللواتي فقدن عذارتهن في حرب الخليج الثالثة.

ألحان الترانزستور والأغاني الكلاسيكية .الحجرات المشتعلة بألسنة اللهب سعير التنين يلفح الجلود وصهيل الخيل تركض فوق الظهور سنابك حوافر العدو فوق الخصور والصدور والنحور ومرسوم الفرعون في الثغور حبب إلي من نسائكم ثلاثا الأندلسيات والشاميات والحجازيات وجعلت قرة العين مرج البحرين في بلاد الرافدين والشياطين تبارك خطوات الآثمين في ارض الحرم...

واستبدت بريان شهوة القرم كان نباتيا لكن رائحة الشواء تسد أنفه مثل رائحة البشر في صقر وصخب المدينة يملأ رأسه مثل غليان القدرفوق الحجر...

ذرعت المدينة جيئة وذهابا
أبحث عمن كانوا بالأمس صحابا
أشرب...
من دخان الحان
من سلافة الجرح
في القلب...
من دماء التراب،
شرابا
يا زمنا ملعونا
صار فيه البوم هدهدا
والحمام غرابا
سقطت بغداد وبسقوطها
صارت كل النساء ق..با
لا تذرفوا الدمع أيها الأعراب
كفى التماسيح اليوم انتحابا.
واشربوا نخب نسائكم
فوق حجور جنودهم
فلن تزيدهم صحراؤكم
إلا انتصابا.
واسجدوا لفرعون وهامان وجنودهما
فلن يزيدكم الله...
إلا عذابا...
سقطت بغداد وبسقوطها
صارت كل النساء ق..با

صوت شهرزاد الغنجي أدخلوا شهريار الملك إلى ساحة الحكم إلى بلاط الجسد واندفعت نحوي كأنها ألسنة الجحيم أحسست باللهب يطفو من مخمص قدمي ليستقر في أعماق ضميري شعرت كأن سعير التنين "يحمحم داخلي بله حذر يسري في شرايني يستنفر كل مفصل من مفاصلي .

وتاه ريان في تلكم العيون فتمتم بصوت متهدج أحب من المرأة براءتها وطفولتها وعينيها ما أجملها الحياة طفلة ضاحكة طاهرة بريئة وطيبة صمتت لبرهة ثم قالت ساخرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما أنا فأحب أمثالك من الفحول ولا أحب أنصاف الرجال أعشق توحشك وأنفك الكبير... وأردفت متهكمة ورأسه رأس الشياطين كصاروخ الحسين.

وأغمضت عينيها وأطبقت بأسنانها على شفتيها وأجهشت بالبكاء.. كفاك إيلاما كفاك تعذيبا ما تفتأ تذكر أحزانك وتنسى أني مدينة الأحزان وأنت لا تعرف حزن النساء...

ونظرت في عيونها السوداء و تذكرت الحزن كبرياء والدموع كبرياء ما اقبحها الدنيا ما تفتأ تذكر الأمس الحب الذي مات انسه اللعنة على كل الذكريات ولتعش سعادة الوهم خير ألف مرة من وهم السعادة ولتجرب سعادة الحب دون أن تحب السعادة...

كانت ترتعش مثل عصفور خرج من عشه تحت المطر قالت: عندما تأخذني في قمة النشوة والجنون تذكرها وهكذا يمكنك أن تركب كل النساء إذا ركبت خيالك الجموح... خلنا من وهم الحب خذني إلى رعشة الجسد واحملني إلى السماء خبئني ما بين أحضانك وأحزانك... دونما تفكير..

اللعنة على هذا العقل الشال المشلول ابن العاهرة الكبير اللعنة على الحب بعيون من زجاج ونهود من عاج وأردية من ديباج وأجساد من قصدير وأرواح حبيسة أسر الجسد لا تخلق ولا تطير.

باغ داه [*]

يا هبة الإله

نوحي من خلف سورك

وافتحي الأبوابا

فقد غطت اليهود السحابا

سقطت شهرزاد وبسقوطها

صارت كل المدن سلابا.

أحس خنجرا في خاصرته يغيبه عن الوجود. خدرا يسري في كامل بدنه هم بالكلام أراد أن يقول شيئا لا وقت للكلام الآن. فقد تاه كلامه في حلقها ابتلعته الأفعى. أي سم زعاف هذا الذي تحقنه إياه. امتص شفتيها وضغطها إليه حتى تأوهت من شدة الألم. سال لسانها في فمه وبحركة جنونية رفعها إليه يحملها من وسطها ليغرز سكينه في الصدر والأحشاء وفي الحال سمع همهمة تدوي في الأنحاء.

انتفضت بين أحضانه مثل طائر جريح لحس لعابه فوق عنقها وهصر صدره على صدرها وهبط يمتص حلمة نهدها الأيمن ثم احتملها إلى حيث ألقى بنفسه فوقها ليستقر في أعماق اللجة ويصحو على صوت عذارها يصيح في الأصقاع :

بغداد صاحت:

---

[*] باغ داه الاسم الكنعاني القديم لبغداد ومعناه بالكنعانية هبة الإله.

كلهم طردوني من ممالكهم وأنا لا مملكة لي

كلهم سحبوني إلى أسرتهم وأنا لا وجه لي

كلهم فقؤوا عيني..

كلهم رضعوا من حليبي وشربوا من دمي اغتسلوا بحوضي وتحمموا بعطري

امتصوا رحيقي وضحكوا من ألمي

بال الأنذال على الجوامع والصوامع

غارت دجلة والفرات

واحتقنت المدامع

العذراء استغاثت

لبيك علي

مرغوا مرقد الحسين حناء ونارا

صلبوا الإمام كللوا رأسه غارا

ودقوا بالمعصمين مسمارا

عفروا وجه العذراء ترابا

مدينة السلام أصبحت قفارا

لا مستوطن يعمر المدينة

غير تجار الدعارة

لا مستوطن يسكن المغارة

غير الضفادع والنقيق

وأفاعي الصحارى

وفي لج الخليج ألف محارة ومحارة

***

ريان ناح:

رمسي يناديني

والحفار يتبعني

أتربة المقابر على وجهي

رائحة الموتى

تفوح بعطر دمي الأحمر

صوت الملائكة... يؤمن لعذابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحمالو النعوش

حشرجة... انتفاض... نشيج...

الصمت يطبق..

الملك يسأل..

ويصم عن الجواب

كفانا اليوم يا نكير حسابا

رحماك منكر سئمنا العذابا

سقطت بغداد وبسقطوها... رفع الله العقابا والثوابا.

أحس برعشة انتفض لها جسده كله واجتاحته رغبة جامحة في البكاء، فتململ قليلا يهز عن رأسه الغطاء ليفتح عينيه على شيء منتفخ بين فخذيه ولسان حاله يقول "الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور".

أفقت من نومي على حدث جلل ربما هو من أثر الحمى كأنني مقرور طلعت عليه الشمس كان صوت المؤذن يرجع لهاث الجياع. هنا المسجد بحذاء الماخور. الصومعة البيضاء تناطح عنان السماء والقباب الخضراء فوق رؤوس الأولياء مقعرة مثل حجور النساء.

هاهي مدينة الوهم والخيال تطل على البحر من وراء الأسوار هنا حديقة للحيوان ترقص فيها القردة والنسانيس من وراء القضبان على وقع الأضواء والأنغام تحت جنح الظلام هنا للمدينة صفائح وأبواب من حديد باب يقودك إلى باب فتدلف من خلف الأبواب إلى مقاهي الرصيف وبنات الرصيف وقطط الرصيف وكلاب الرصيف وذئاب الرصيف ورائحة العفن والجيف.

صدى المدينة العاهرة مدينة الوهم والخيال ألف ليلة وليلة وشهريار يحلم بشهرزاد عذراء بتولا وحينما التقاها دخلها بكرا ثالبا وغادرها وجرثومة الإثم في دمه...

أفقت من نومي وكانت عنقاء مغرب تحشد العتاد والجنود والمومس العمياء تفرغ عليها من زبر الحديد تشيدان بيابل صرحا عاليا لا يبيد... ولا ينبغي لغيرهما من العبيد.

أفقت من نومي وخلف أجفاني صورة أمي تنهض رفاتا وتنفض عنها رميم الأموات كطائر الفينيق أفقت ومازالت بعض رطانة كلمات على لساني من أثر الحمى هل تبعثين الآن يا أم؟. هل تبعثين الآن يا أم؟. وبأي أرض تبعثين؟.

واستبد بريان شوقه إلى الرحيل فأسرج البعير وضرب في الأرض على غير هدى...

جُحَا ومدينة الجنون !...

قصّة: محمّد جُوعُو

حدّث جحا قال:

أصابني دهر بمحف استنفد كلّ مدّخراتي، فعسر عيشي، وكسدت سوقي وقلّ كسْبي بسبب انتشار نسخ منّي في المدن والقرى القريبة من مسقط رأسي، تقلّدني، تروّج بضاعة "مضْروبةً" يشبه ظاهرها بضاعتي.. فقرّرت أن أهجر تلك الأماكن التّي قضّيت فيها أخصب أيّام عمري...

حملت زادي وزوّادي وضربت في أرض الله الواسعة وأبعدتُ.. أجوب السُّهوبَ والوديانَ.. أتسلّق الكثبانَ.. أسيح في المناكب والمنحدرات.. أقتفي الآثار وأتسقّط الأخبار.. أبحث عن موطن ناءٍ لا يوجد فيه رجل يشبهني، ولا كلام يباع في الأسواق يشبه كلامي، علّ بضاعتي تزدهر من جديد فيطيب عيشي...

ولم أزل على ما أنا عليه من السّير، حتّى بلغت مدينة نحاسيّة البنيان.. غريبة الهندسة والعمران.. تحيط بها أسوار شاهقة، عليها قباب مرمريّة بارقة.. لها سبع بوّاباتٍ ضخمة صُنعت من خشب السّاجِ[01] والسّندیان، طُعّمتْ بالفضّة الخالصة والمرجان.. نُقِشَ على وجه إحداها:"لا يدخلها إلاّ المجانين"!... فتملّكني عجَبٌ.. وأوجستُ في نفسي خيفةً.. واعترتني روعة شديدة واجتاحتني حيرة.. فقلت مخاطبا حماري، راجيا منه نصحي، علّ الرّيبة تنقشع فيزول قلقي واضطراب نفسي، بعد أن أنزلت عنه بردعته وعكسْتُه [02] وربطت حبله إلى جذع نخلة، ناضح بُسْرها رطبٌ، باسق طولها، حُبْلى:

«إن أنا دخلت هذه المدينة ومعي عقلي، فسيلقي أهلها عليّ القبض ويودعونني "بيمارستانهم" فتجرى عليّ ما تُجرى على فئران المخابر من تجارب وتصيبني تخمة العقاقير والحُقَنِ، فلا أجد بعد موتي من يتطوّع لدفني.. فأشر عليّ يا حماري وانصحني!...»

... لكنّي لم أجد من حماري إصغاء ونُصْحًا في ذلك الوقت.. فقد كان يتضوّر جوعا.. مطأطأ الرّأس.. مُطْرقًا.. يبحث عن بقايا بُسْرٍ في الرّمل.. فلم ينتبه لحيرتي وعجبي ولم يلاحظ خوفي...

فتهالكت على الأرض وأطرقتُ برهة من الزّمن وفكّرت وحدي.. فتروّيت وأمعنتُ في تمحيص الأمر وقلّبته ونظرت مليًا في عواقبه.. وبعد ساعة خلتها دهرًا، قرّرتُ إنجاز الفعلِ، فخرجت من عقلي ووضعته برفق في ظلّ النّخلة وطلبت من حماري أن يهتمّ بأمره ريثما أعود فأعيده إلى رأسي.. ثمّ طلبت من النّخلة رعاية رفيقيّ وحمايتهما من بعدي!...

لَمّا انبلج صبح اليوم الموالي ورفع الحرّاس المزاليج الضّخمة وفُتّحتْ مصاريعُ البوّابات، دخلت مدينة الجنون بلا عقل.. فألفيْتُ فيها ناسًا رَجْرَاجا [13] ضعيفي الأفئدة.. قليليّ الفطنة.. من جلدةٍ غير جلدة أهل هذا العصر.. يتكلّمون بغير لسانهم.. يُقال لهم "بنو أُلْعُبان".. حليقة رؤوسهم.. جاحظة عيونهم.. شاحبة وجوههم.. قميئة أجسادهم ضامرة.. يمشون في الشّوارع والسّاحات على أيديهم كالبهلوان.. أحسنوا معاملتي بعد أن حلق حلاّقهم رأسي وذقني واتّضح لهم زوال عقلي!...

مكثت بين "بني أُلْعُبانٍ" دهرا.. تعلّمتُ خلاله لسانهم وأتقنت غريب لهجتهم وبيانهم.. واشتغلت بتجارة الكلام.. فكنت أقول الكلام كيفما اتّفق في ساحة السّوق، أهرّج فيه وأطْرِفُ [14].. أبتكر المستحدث منه والعجيب.. فيرى القوم في كلامي أنفسهم وينعكس كُنْهُه على صفحة مرآة ذواتهم.. فتنتفخ أوداجهم ضحكا وقهقهة حتّى تدمع أعينهم وتبرز ضواحكهم وتحمرّ وجوههم بعد اصفرار وشحوب، ويتهافتون على شرائه مني بباهظ الأثمان!... وأصبح رزقي يأتيني رغدًا بعد ما أصابني من فاقة بين أهلي.. وأصبحتُ بين سكّان هذه المدينة من ذوي الشّأنِ.. أرفل في عباءات الحرير والخزّ.. أنعم في بحبحةٍ من العيش النّاعم الرّغدِ.. وكنت من حين لآخر أبعث لزوجتي مع بعض السّيّارة بمؤونة تكفيها وتكفي أهلها وذويها سنة ونَيْفٍ.. وكانت زوجتي كلّما سُئلتْ عنّي تفاخر جاراتها وتتباهى بما لديها من عسل وسمن وأكياس سَوِيقٍ [15] وجرار زيت فتقول مُصعّرة خدّها تكبّرًا: «زوجي يعمل بالخارج!...» وكنتُ كلّما اختليتُ بنفسي في نهاية كلّ يوم بعد أفول الشّمس وانفضاض النّاس عنّي، أحمد الله على نعمة الحمق وقلّة العقل، ثمّ أنشد في سرّي قبل أن أطبق جفني:

«الذّنبُ للأيّام لا لي *** فاعتبْ على صرفِ اللّيالي »

«بالحُمْقِ أدركتُ المنى *** ورفلتُ في حُللِ الجمال»

وإنّي لكذلك، إذْ جاء المدينة رجل غريب الكِساء أنيقٌ.. له لحية رفيعة.. نحيفة كالسّطر وشارب على هيئة هلال أوّل الشّهر.. استأجر دكّانا من دكاكين السّوق، صفّف على رفوفه علبا

كثيرة صغيرة وكبيرة ذات ألوان مختلفة مشعّة جذّابة، كُتب عليها بخطّ كوفيّ عريضٍ " عقول مستنسخة بثمن بخسٍ"... فارّتسّ[06] الخبر في المدينة.. وما هي إلاّ سُويْعاتٌ حتّى تجمّع النّاس حول الغريب وانفضّوا من حولي!...

حسبتُ ما حدث دعابة بادئ الأمر، حبك خيوطها بعض سماسرة السّوق وتجّارها لممازحتي واستفزازي كعادتهم والضّحك منّي.. ولكنّي حين أصبحتُ، وجدتُ نفسي في مدينة ككلّ المدن الّتي عرفت، وألفيت النّاس فيها رؤوسهم على أكتافهم راسية.. يمشون على أرجلهم بعد أن كان من يقترف ذلك في مدينتهم يُعتبر آتٍ [07] فيهم، دخيل عليهم... ومرّة أخرى كسدت سوقي، واستحالت بضاعتي بعد أن أعرض عنها "بنو ألْعُبانٍ" إلى عبءٍ تنوء به نفسي.. وغزاني حزن شديد وانتابني عجب من تغيّر الأحوال وصرف الدّهر وتقلّب الزّمانِ.. وتسلّل إلى خاطري رفع عريضة تظلّم إلى أمير البلاد، أحتجُّ فيها على اجتياح قَيْرُوس تلك العلب رؤوس العباد.. فاعتصمت بساحة السّوق وأعلنت إضراب الجوع، بعد أن علّقتُ عريضتي على صدري ليطّلع على فحواها القاصي والدّاني!...

لما بلغ الأمير أمري، استشاط غضبا.. وإلى مجلسه دعا أعيان المدينة وكبير القضاة وصاحب العقول المستنسخة ودعاني.. وبعد أن فاوض خاصّته في أمري، أمر كاتبه فأصدر بيانا اتّهمني فيه بالجنون وفساد العقل وتحريض النّاس على العصيانِ وتوعّدني بالحبس في "البيمارستان" إن لم أغادر مدينتهم في الإبّانِ... فما كان منّي إلاّ أن أطلقت ساقيّ للرّيح، هاربا بجلدي، تاركا أمتعتي في ساحة السّوق، متأبّطا روحي.. وفي ظلّ النّخلة، وجدت حماري في انتظاري.. لكنّي.. لم أجد عقلي!...

****

قال قائل من "أهل المدر والحضر":

«لَمّا لم يعثر جحا على عقله تحت جذع النّخلة، التبس عليه الأمر، واشتبهت عليه السّبل، فامتطى صهوة حماره وسلّم قِياد [08] نفسه إليه ليُعيده إلى مسقط رأسه، وكان به هَوَسٌ ولَمَمٌ [09]... ولما أدرك عشيرته بعد رحلة مضنيّة، شاقّة ذاق خلالها الأمرّين، لزم بيته مهموما، مغتمًّا، لا يبرحه إلاّ لمامًا، وهجر زوجته واعتزل النّاس وانطوى على نفسه وتدثّر بصمته مذموما مذْؤومًا حتّى وافاه الأجل المحتوم!...»

****

وقالت زوجة جحا حين سألها مراسل إحدى الجرائد الأسبوعيّة عن زوجها بعد أن خولط في عقله:

«كان آخر عهدي به، لما أعاده حماره إلى داره بعد غيبة دامت زمنا ليس بالقصير، فطرق الباب في غسق اللّيل ففتحت.. وتلقّيته بِتَرْحابٍ بادئ الأمر.. ولما حدجته ببصري وحدجني ببصره أنكرني وأنكرته.. وخيّلَ

إليّ آنذاك كأنّ بيني وبينه حجابا أو حاجزا منيعا أو سدّا، وأنّ مُحا الّذي عرفتموه في كتب الحكايات والقصص لم يعد بعلي الّذي عرفت.. فقد ذوتْ صحّته وتاهت مهجته وغارتْ عيناه وشخص بصره.. فكان طوال الوقت ينظر إليّ ولا يراني، يهذي بلسان غير لساني، يتكلّم بغير معقول، يبكي ويضحك ويغمغم في نفس الوقت.. وكنتُ على عتبة الباب كما على الجمر واقفة أتقلّى، لا أدري أأستعمل اللّين معه ليلج بيته أم العنف.. أمسك بتلابيب عباءته الممزّقة المتّسخة، أدعوه للدّخول برفق مرّةً ومرّةً أخرى أرجّه رجّا.. علّه يُذعن لمشيئتي فيدخل داره ويستر داخلها عاري وعاره.. فقد يتفشّى سرُّه بين لحظة وأخرى فيوقظ هذيانه جاراتي، فيشمتن بي ويفرحن بمصابي!...

بينما أنا حيرى.. إذْ به يُحوّل عينه الزّائغة عنّي ويلقي بطرفه بعيدًا في متاهات الغاسق.. وما هي إلاّ لحظة أو بعض لحظة حتّى ترجّل وبيد مرتعشة معروقة سلّمني قِياد الحمار وولاّني ظهره ومشى.. وفي قلب الظّلام اختفى.. ومنذ تلك اللّيلة لم يره أحدٌ يسعى!...»

****

وقالت شرذمة من "أهل الوبر" [10] إنّه شُوهد في الفيافي والقفار ملتفّا في عباءة مغبرّة، ممزّقة، متّسخة، نتنة، مكشوف الرّأس بلا مِقْعَطٍ [11]، أشعث الشّعر، جاحظ العين، كثّ اللّحية والشّارب، شاحب الوجه، شارد الذّهن، يرمي بطرفه إلى الأرض في مشيه.. وإنّه سئل عن الّتي بيمينه فغمغم:

«هي عصاي الّتي لو لاها ما عرفتموني، أتوكّأ عليها وأنبش بها الثّرى بحثا عن شيء أضعته، لا أدري كنهه.. فأعينوني!...»

****

(01) التّاج: جنس أشجار حرجيّة ضخمة أخشابها شديدة الصّلابة (Teck)

(02) عكس الدّابة: شدّ حبلا في حطمها إلى رسغ يديها لتذلّ

(03) نابس رجراج: ضعفاء العقول

(04) أطْرف إطرافا الرّجل: أتى بالطّرفة وهي كلّ شيء مستحدث عجيب

(05) السّويق: النّاعم من دقيق الحنطة والشّعير

(06) ارتسّ الخبر في النّاس: انتشر وفشا

(07) الأيّ: الدّخيل

(08) القياد: ما تقاد به الدّابّة من حبل ونحوه

(09) الهوس واللّمم: طرف من الجنون وقلّة العقل

(10) أهل الوبر: سكّان الخيام

(11) المِقْعَط: العمامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملتقى الوطني للشعر الشعبي بكسرى

متابعة: قيس الخروبي

تحت إشراف المندوبية الجهوية للثقافة بسليانة نظمت دار الثقافة بكسرى الملتقى الوطني للشعر الشعبي أيام 22 و 23 و 24 مارس 2013 وقد كان هذا الملتقى حافلا بالمداخلات الفكرية والعروض الفرجوية والقراءات الشعريّة.

في صبيحة اليوم الأولى من الملتقى وقع استقبال الضيوف وافتُتح الملتقى بالفضاء الخارجي لدار الثقافة بكسرى بعرض فرجوي بعنوان "شورا الهطايا "للعروسي الزبيدي" وقد شهد هذا العرض حضورا جماهيريا كبيرا من شرائح عمرية مختلفة رجالا ونساء وشيبا وشبابا.



في عشية هذا اليوم، أقيمت ندوة فكرية تحت شعار "الشعر الشعبي أصالة وتواصل" حيث تقدم الأستاذ عبد الرؤوف الرحراح بمداخلة قصيرة حول تاريخ مدينة كسرى تعرّض فيها إلى وجه التسمية وإلى الامتداد الجغرافي والتقاليد والآثار وفي ما يلي نصّها:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"كسرى

كسرى هي "أكزرة" بالتسمية الرومانية ثمّ "كوزيرا" بالتسمية البزنطية ثم "كسرى" بالتسمية الإسلامية (الأستاذ محمد الطاهر المنصوري باحث في المعهد الوطني للآثار)

تسمية "كسرى" فيها من الدلالات التاريخية التي تشهد بان "كسرى" تجمع سكني موغل في التاريخ من الأمازيغ إلى البربر إلى الرومان إلى البزنطيين حتى حلول الحقبة الإسلامية التي أفرزت تسمية "كسرى"

هي بلدة تقع في الوسط الغربي للبلاد التونسية وهي من أعلى القمم السكانية حيث يقدر ارتفاعها ب 1245م عن سطح البحر، تلفّها الغابات من كل جانب ويتناثر بنيانها على امتداد 3 كلمترات من أسفل المدينة إلى الأعلى عبر طريق ملتوية صعودا.

تقع "كسرى" العتيقة الحالمة بسكونها ملتفة على نفسها، متربعة بين أحضان جبل صخري شامخة شموخ أصلها تروي محطات من ماضي تاريخ بعيدا أضناها، فالقصبة الرومانية الشامخة ترقبها والصور البزنطي بالبرج والقصر يحرصها عبر منطقة الكنايس والقبور الجلمودية والبونية المنتشرة في أرجاء البلدة جواز سفر إلى ماض بعيد من الحضارة والعمران.

كسرى هذا التجمع السكني الذي يرقب من تحته سفوحا مترامية مخضرة بأشجار تين وزيتون سابح في أفق منحدر.

"كسرى" ذات الطابع العمراني الفسيفسائي حيث لازالت بصمات الحضارات التاريخية التي مرت على "كسرى" عنوان كل حقبة، فأزقتها الضيقة والملتوية "كالحارة" المركز التجاري القديم للبلدة، ومساكنها ذات الطابع البربري منها وذات الطابع الروماني أحيانا استحدث الأهالي تقريبا حل مبانيها ولم يبق إلا القليل الذي تكتنز ذاكرة التاريخ.

"كسرى" ذات المياه المنسابة وسط البلدة بواد ضيق تنبع فيه "عين ميزاب" و"عين سلطان" وصولا إلى منبع "عين مكلار" ينساب منهم ماء بلسم رقراق دافئ في فصل الشتاء وبارد في فصل الصيف، كما ينساب شلال من أعلى سفح البلدة مدويا بخرير مياهه يعرف "بأغير" في المواسم الممطرة.

"كسرى" ذات الأكلات الشعبية المتنوعة كأنواع الخبز والكسكسي وقد تميزت في ماض غير بعيد بلباسها الصوفي كالقشيبة والبرنس للرجال والتخليلة للمرأة والبطانية والمرقوم والزربية.



"كسرى" التي اختزلت التاريخ في طريقة ربيعها للبساتين من الحضارة الرومانية عبر السواقي وطريقة فلاحتها عبر ما يعرف بالماشية للحرث والجاروشة (النورج) للدرس.

"كسرى" بلدة الثلوج والضباب شتاء وكسائها الغابي المتنوع من زعتر وإكليل وشيح وصنوبر وكشريد جعلها زربية متعددة الألوان.

كل هذا المخزون أراد أبناء "كسرى" إظهاره من خلال مهرجان التين بكسرى الذي ولد في دورته الأولى سنة 1988.

وحفاظا على الموروث الحضاري للبلدة بعثت "جمعية صيانة مدينة كسرى" منذ سنة 1991.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن "كسرى" بلد التين والزيتون تحتضن مبدعيها من ضيوفها وأبنائها في الملتقى الوطني للشعر الشعر حتى يدوي الكلمة الحرة والمعبرة تسقي النفوس بصداها وتلهم مستمعيها عذب الكلام والوصف".

في حقيقة الأمر كانت هذه المداخلة قصيرة ولكن أمتعت السامعين ونالت إعجاب الحاضرين وكثير منهم قدم من أماكن عديدة لحضور هذه التظاهرة والمساهمة في إثراءها.

اثر ذلك تقدم الأستاذ عبد القادر الهاني بمداخلة بعنوان "تكريم الشعراء الشعبيين بولاية سليانة" حيث استعرض أسماءهم: قدماء وجدد، مترحما على من فارق الحياة، ومتمنيا لمن هم على قيد الحياة طول العمر والصحة الجيدة.

ثم مداخلة الأستاذة سلوى بن حفيظ بعنوان "الشعر الشعبي بين القول والغناء". واختتم الندوة الأستاذ الجليدي العويني بمداخلة بعنوان "الشعر الشعبي في الانتفاضات" ثم فتح باب النقاش حيث تساءل البعض عن غياب شعراء منطقة كسرى وهو ما أثار نقطة استفهام كبيرة. وهنا وضحت السيدة أمال الطالبي أن هذا الملتقى جاء في دورته الأولى وقد تمت دعوة كل أصحاب الكلمة من منطقة كسرى خاصة. ولكن لم يقع تسجيل الحضور المنتظر. ثم تدخل الأستاذ عبد القادر الهاني وطلب من مديرة دار الثقافة بكسرى بإقامة ناد يطلق عليه اسم "نادي الكلمة" بدار الثقافة بالتعاون مع المندوبية الجهوية للثقافة بسليانة وفرع اتحاد الكتاب التونسيين بسليانة، وقد رحبت المديرة بهذه الفكرة ودعت في الحين كل الحاضرين إلى تضافر الجهودات الجماعية لإقامة هذا النادي وتبليغ صوت كل من له فكرة أو مشروع ثقافي يؤسس للإحاطة بمثقفي منطقة كسرى وشعرائها وصقل مواهب الناشئة.


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في عشية اليوم الثاني من الملتقى وبالفضاء الخارجي لمتحف كسرى تم عرض فرجوي للفروسية وتلاه عرض "فكير" وقراءات شعرية لشعراء شعبيين أمثال محمد الدمرجي وعلي احمد مسعود سلامي ومراد الجلاصي... واختتم الملتقى يوم الأحد 24 مارس 2013 بعرض فرجوي شعبي بعنوان "فارس نواثير" لرضوان الهندي.

في الختام نؤكد على ما ذكرته مديرة الملتقى من بعث منتدى أصحاب الكلمة الذي ستكون إحدى فقراته موجهة للشعراء الشعبيين الشبان، الأمر الذي سيكون له الأثر البعيد في مستقبل الإبداع في الشعر عموما وفي الشعر الشعبي بصفة خاصة.

ربيع الكتاب التونسي بسليانـــة

متابعة: فاطمة المناعي

يمتزج الربيع بالربيع فتورق الأغصان وتتفتح الزهور ويخضرّ الكون ويعبق بالشذى والعبير والطيب. وكم سيكون رائعا إن كان هذا الرّبيع وليد الفكر والقريحة. فضاء يترنح فيه القلم يخط بياض الورق بما حال في العقل وما أوحت به الأنفس وما كابدته القرائح.



ها هو الربيع يطل علينا إطلالة أخرى في حلة ليست كسائر الحلل بمجموعات من الكتب في زينة وبهاء خالدة خلود الإنسانية...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنه ربيع الكتاب التونسي الذي تنظمه وزارة الثقافة في دورته الأولى والذي تفتح له سليانة – كسائر مدن الجمهورية – أحضانها من 13 إلى 21 أفريل 2013 .

ربيع الكتاب الذي تشرف عليه المندوبية الجهوية للثقافة بالتعاون مع "إتحاد الناشرين التونسيين" و"فرع إتحاد الكتاب بسليانة" و"مجلة الإتحاف" و"دار سنابل للنشر" و"جمعية تنمية اللغة العربية" ودور الثقافة والمكتبات العمومية وهي تظاهرة أرادت من خلالها الاعتراف بأهمية الكتاب التونسي وتكريما للمبدعين الذين ما انفكوا يثرون المجال الإبداعي بشتى أجناسه وشعابه.



ربيع الكتاب التونسي الذي يستضيف فعالياته المركب الثقافي ابن أبي الضياف بسليانة، قد خصصت له المندوبية الجهوية للثقافة سلسلة من البرامج

الثقافية والعروض التنشيطية أبرزها: افتتاح معرض الكتاب الذي يشهد إقبالا من طرف الأهالي وقد تزامن معه عرض لجمعية الابتكار المسرحي بقعفور وقد كلل الافتتاح بنفحات روحانية لسلامية سيدي حمادة أما المحطات الفكرية والتي ستختتم بها هذه التظاهرة الثقافية فنستهلها بمداخلة "واقع الكتاب التونسي بعد الثورة للدكتور محمد البدوي" ومداخلة السيد عمر الكنزاري بعنوان "الطفل والكتاب أية علاقة" ثم مداخلة بعنوان "دور مجلة الإتحاف في إثراء المشهد الثقافي بتونس للأستاذ عبد الكريم العطياوي" ومداخلة بعنوان "المشهد الثقافي بولايات الشمال الغربي مجلة الإتحاف نموذجا" للأستاذ المنصف الكريمي، إضافة إلى المداخلات الشعرية للشعراء: عادل الهمامي، عادل القرابلسي وعبد الرحمان العبيدي.





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وستختتم هذه التظاهرة بتكريم جملة من المبدعين وهم الأساتذة:



الشاعر الهادي عبد الملك، الأستاذ عبد الكريم العطياوي، السيد مبروك المناعي، السيدة ربيعة الفرشيشي، الأستاذ عبد القادر الهاني، الدكتور محمد البدوي، السيد عمر الكنزاري، الأستاذ عثمان اليحياوي.

هذا ونأمل أن تكون هذه التظاهرة خطوة أولى لمصالحة القارئ مع الكتاب وتوطيد العلاقة بينهما.